وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمديـة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي.

تمثّلات الذّات و إشكاليّة الهويّة في رواية من "أنت أيّها الملاك" لإبراهيم الكوني

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصّص أدب حديث و معاصر

إعداد الطّالبتين:

- اليوسفي نعيمة
- سليماني هيبة

إشراف الدّكتورة:

- هجيرة بوسكين

السّنة الجامعيّة

2022-2021

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الّذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء

هذا الواجب ووفّقنا إلى إنجاز هذا العمل.

نتوجّه بجزيل الشّكر والامتنان إلى كلّ من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل ونخصّ بالذّكر الأستاذة المشرفة الدّكتورة "**هجيرة بوسكّين**" والّتي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيّمة، والّتي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث،نسأل الله أن يجزيها عنّا كلّ الخير.

كما لا يفوتنا بالذّكر أن نتوجّه بالشّكر الجزيل إلى لجنة المناقشة والتّقييم على تكبّدهم عناء تصحيح وتقييم هذا العمل.

إهداء

الحمد لله وكفى والصّلاة والسّلام على خير من اصطفى و على آله وصحبه ومن اتّبعه بإحسان إلى يوم الدّين .

أهدي ثمرة عملي هذا إلى أعزّ إنسانة في حياتي، الّتي أنارت دربي بنصائحها وكانت بحرا صافيا يجري بفيض الحبّ، والبسمة ، إلى من زيّنت حياتي بضياء البدر وشموع الفرح أمّي الغالية.

إلى سندي وكتفي في الحياة إلى من منحني القوّة والعزيمة لمواصلة الدّرب إلى من علمني الصّبر والاجتهاد وسعى لتشجيعي أبي الغالي.

إلى أخواتي الجميلات الرّائعات –لبنى–يسرى–عقيلة– وأخي الفريد – بلال– حفظهم الله عزّ وجل.

إلى أغلى وأصدق و أحبّ إنسان والّذي يعجز اللّسان ولا تكفي الكلمات لوصفه زوجي.

إلى والدي زوجي حفظهما الله وأطال في عمرهما.

إلى كلّ العائلة الكريمة وزملاء الدّراسة متمنية لهم التّوفيق، إلى صديقتي هاجر وكلّ من ساعدني في إتمام هذا العمل القيم .

إلى كلّ من نسيه القلم وحفظه القلب.

نعيمة

إهداء

إلى نبض قلبي ونصفي الثّاني

إلى نبع الحنان وملاكي في الحياة

إلى روحي وقمري وشمسي وعالمي

إلى من تحت قدميها الجنّة " أمّي الغالية"

حفظك الله وأطال في عمرك ورزقك الصّحة والعافية

إلى قوّتي ومصدر فخري

إلى سندي في هذه الحياة

إلى أماني والنّبع الصّافي

إلى الظّل الذي آوي إليه في كل حين " أبي الغالي".

رعاك المولى عزّوجل وجزاك الله خير الجزاء.

إلى نعيما حياتي ورفيقا دربي.

إلى سندي عند ضيقتي " إخوتي الأعزاء" ياسين ،يوسف بهاء الدّين ،حفظكما الله

وأسعدكما في الدّنيا والآخرة

إلى من جمعتني بهم الأيّام وسنوات الجامعة وسيلة-وصال-سليمة- منال-

صباح- نادية-سلمى-راضية.

إلى جميع أفراد عائلتي.

هيبة

مـــقـــدّمـــــة

سعت الرّواية العربيّة منذ نشأتها أن تكون لها مكانة هامّة في السّاحة الأدبيّة العربيّة والعالميّة، لذلك نجدها تحاول دائما خوض غمار التّجديد والتّجريب سواءٌ أكان ذلك على المستوى الفنّي أو الموضوعي، ولن يتأتّى لها ذلك إلاّ إذا صارت صوتًا صادقًا يعبّرُ عن القضايا الشّائكة للمجتمع العربي في كل مرحلة من مراحل تطوّره.

ولعلّ من أهمّ القضايا والمواضيع المعاصرة التّي أخذت حيّزا هامًّا في السّنوات الأخيرة في المتن الرّوائي العربي، ما تعلق بسرد "الّذات" و"الآخر" وتمثّلاتهما في الخطاب السّردي وما تعلق بهذه الثنائية (الأنا/الآخر) من قضايا وإشكالات، لعلّ أهمّها مسألة "الهويّة" الّتي راح الكتّاب والرّوائيون العرب يحلّلون أبعادها الثّقافيّة والاجتماعيّة وعوامل بنائها وإثباتها والحفاظ عليها ضمن نصوص سرديّة روائيّة امتازت في معظمها بطابعها الثّقافي والسّياسي.

يعدّ موضوع "الهويّة" من المواضيع المثيرة للجدل، حيث لم يلق هذا الموضوع اهتمام المفكرين والباحثين والفلاسفة فحسب، بل حَظِيَ أيضا باهتمام واسع من قبل الأدباء والرّوائيين العرب لارتباطه الوثيق بقضايا الإنسان العربي المعاصر وسعيه إلى إثبات وجوده في ظلّ ما تعيشه المجتمعات العربية من تحدّيات مستمرّة، ذلك أن الهويّة هي تعبير عن كيان هذا الإنسان، كما أنّ خصائصها المختلفة هي تعبير عن انتماء هذا الإنسان إلى وطن يتشارك فيه مع مجموعة من الأفراد والجماعات مجموعة من القيم الفكريّة والّدينية والثّقافيّة، بالإضافة إلى تشاركهم في العادات والتّقاليد والمصير المشترك.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من أهميّة موضوع "الهوية" تنبع رغبتنا في تناول هذا الموضوع من أسباب ذاتيّة وموضوعيّة دفعتنا إلى اختيار موضوع مذكرتنا الموسوم ب **((تمثّلات الذّات وإشكاليّة الهوية في رواية "من أنت أيّها الملاك "لإبراهيم الكونيِ))**، أهمّها رغبتنا واهتمامنا بالتّعرف على الّثقافة والهويّة اللّيبيّة من خلال دراسة رواية جسّدت الصّراع بين الأنا الصّحراوي القبائلي الطّارقي والآخر اللّيبي المتمدّن والمتحضّر (سكان

المدينة)، بالإضافة إلى محاولة تسليط الضّوء على الرّواية الليبية الّتي لم تحظ بالاهتمام الواسع من قبل الدّارسين في جامعاتنا العربية وخاصّة الجزائريّة، فهي فرصة إذا للتّعريف بخصائص الكتابة الرّوائية اللّيبية عند أشهر كتّابها: الرّوائي: "**إبراهيم الكوني**".

بناء على ما سبق اتخذنا رواية "من أنت أيّها الملاك؟" **لإبراهيم الكوني** مدوّنة تطبيقيّة تمكّننا من تحليل مظاهر وإشكالات بناء الهويّة والحفاظ عليها، وما يتّصل بهذا البناء من قضايا وصراعات تحدّث عنها نصّ الرّواية في صفحاته المختلفة، ذلك أنّ موضوع الهويّة قد فرض نفسه كإشكاليّة أساسية اتّجهت الرّواية العربيّة المعاصرة إلى تناولها وتحليلها في ظلّ التغيّرات والصّراعات الّتي طرأت على البنيات الاجتماعيّة والثّقافيّة للمجتمعات العربيّة في عصر العولمة والتّكنولوجيا. ممّا أدّى إلى ظهور نصوص روائيّة جديدة تنوّعت مواضيعها وإشكالاتها بين تحليل تمثّلات الّذات والآخر وقضايا الواقع المعيش، وفي مقدّمة هذه القضايا، قضيّة "الهويّة" العربيّة المهدّدة في مجتمعات عربيّة تعيش جملة من المآزق نتيجة الصّراع بين الأنا والآخر من جهة، وبين بعض القوميّات والأقليّات الّتي تشارك وطنًا واحدًا من جهة أخرى، ولعلّ من أبرز هذه الرّوايات رواية "**من أنت أيّها الملاك؟**" الّتي جسّدت حجم الصّراع الفكري والثّقافي والسّياسي بين "الأنا" الصّحراوي القبائلي الطّارقي و"الآخر" اللّيبي المتمدّن.

ننطلق في دراستنا هذه من الإجابة على الإشكاليّة الآتية: كيف تجلّى التّمثيل السّردي للذّات في نصّ رواية "من أنت أيّها الملاك؟" ؟وما علاقة هذا التّمثيل بإشكاليّة الهويّة الصّحراوية" وأبعادها الاجتماعيّة والثّقافية والسّياسية الّتي ناقشها نصّ هذه الرّواية ؟.

من أجل مناقشة هذه الإشكاليّة قسّمنا بحثنا هذا الموسوم ب **((تمثّلات الذّات وإشكاليّة الهويّة في رواية "من أنت أيّها الملاك" لإبراهيم الكوني))** إلى مقدّمة وفصلين اثنين، تناولنا في الفصل الأول الموسوم ب ""تمثّلات الذّات ورؤى الآخر في رواية "من أنت أيها الملاك"

تحليلا لمفهوم "التمثّلات" وحضورها في الخطاب الرّوائي العربي بالإضافة إلى تقديم قراءة في عنوان الرّواية وعلاقته بمسألة "الهويّة" و"الانتماء"، بالإضافة إلى تحليلنا لأهمّ أنواع وقضايا تمثّلات الذّات في الرواية مثل "التّمثّل الثّقافي والاجتماعي وعلاقته بالدّين والذّاكرة والتّاريخ.

أمّا الفصل الثّاني الموسوم ب ((إشكاليّة الهويّة والانتماء في رواية "من أنت أيّها الملاك؟")) فقمنا فيه بدراسة علاقة البطل بالذّاكرة الصّحراويّة ورفض سلطة المدينة، وتحليل علاقة هويته بانتمائه الجغرافي والتّاريخي، كما تناولنا أيضا بالشّرح والتّحليل مظاهر ضياع هويّة البطل في فضاء المدينة، وختمنا هذه الدّراسة بخاتمة ضمنّاها جملة من النّتائج المتوصّل إليها.

ومن أجل مناقشة الأفكار والقضايا الّتي تضمّنتها خطّة بحثنا اعتمدنا على المنهج "الموضوعاتي" والمنهج "الوصفي التّحليلي" الّذين ساعدانا في تحليل واستقراء أهمّ القضايا والمواضيع الّتي تناولها المتن الرّوائي لنصّ رواية "من أنت أيّها الملاك؟" مثل موضوع: الهويّة وتجليّاته السّردية، وما يتعلّق به من مواضيع أخرى مثل: الذّاكرة والتّاريخ والدّين، وغيرها من المواضيع الّتي اقتضت هذا النّوع من الدّراسة الموضوعاتية".

انطلقنا في دراستنا هذه من تحليل و دراسة جملة من الدّراسات السّابقة نذكر منها: دراسة بعنوان ((**المثاقفة وسؤال الهويّة**)) ل "**صلاح السّروي**" الّذي تناول فيها بالدّرس والتّحليل "الهويّة وأبعادها وإشكالاتها بالإضافة إلى "الذّات" وماهيتها، بالإضافة إلى اعتمادنا على كتاب "**الهويّات والتّعدّدية اللّغوية**" **لعزّ الدين المناصرة**، وبعض المجلاّت والدّراسات السّابقة، مثل أطروحة الدّكتوراه للباحثة "**سليماني فاطمة**" موسومة ب ((الشّخصية التّاريخية في الرّواية الجزائريّة وهويّة الانتماء)).

ولأنّ كل بحث لا يخلو من الصّعوبات، واجهتنا في مراحل إنجاز بحثنا هذا جملة من الصّعوبات نذكر منها: قلّة الدّراسات النّظرية والتّطبيقيّة الّتي تناولت الرّواية الليبّية، خاصّة تلك الّتي تناولت موضوع الهويّة والانتماء.

وفي الأخير نتوجّه بخالص الشّكر والعرفان والامتنان إلى الأستاذة المشرفة **الدّكتورة هجيرة بوسكّين** نظير ما قدّمته لنا من نصائح وتوجيهات طالت الجانب النّظري والتّطبيقي من هذا العمل.

الفصل الأوّل :

تمثّلات الذّات ورؤى الآخر في رواية

"من أنت أيّها الملاك" لإبراهيم الكوني.

المبحث الأوّل :التّمثّلات :بحث في حدود المفهوم وحضوره في الخطاب الرّوائي.

المبحث الثّاني :قراءة في عنوان الرّواية وعلاقته بمسألة الهويّة والانتماء .

المبحث الثّالث :أنواع وقضايا تمثّلات الذّات في الرّواية.

الحديث عن الرّواية العربية كجنس أدبي يأخذنا إلى تصوّرها كمرآة عاكسة لواقع المجتمع العربي باشتمالها على معظم محتويات الحياة ومجمل القضايا والإشكالات الّتي يواجهها الإنسان، لقد وجد الرّوائي العربي في هذا الجنس الأدبي المنفتح على مختلف الفنون والعلوم والمعارف ضالّته، فكتب نصوصا روائيّة جمعت بين المعطى الثّقافي والإجتماعي والسّياسي الرّاهن والذّاكرة والتّاريخ وإشكالات الهويّة، فجاءت بذلك أعماله تعبيرا صادقا عن قضايا الذّات العربية بكل ما يتعلّق بها من إشكالات ارتبطت بماضيها أو حاضرها.

ولعلّ من أهمّ القضايا الّتي شغلت بال الرّوائي العربي، وأثارت اهتمامه قضيّة " **الأنا والآخر** " الّتي تناولتها العديد من النّصوص العربيّة التي حاولت دراستها ومناقشة أسباب وحجم الصّراع القائم والدّائم بينهما.

ولأنّ العمل الرّوائي العربي هو نصّ ينبغي أن يعبّر عن الذّات وإشكالاتها قبل أيّ اهتمام بالآخر، سعت الرّواية العربيّة إلى الكتابة عن الذّات من خلال مقابلتها بالآخر المختلف تارة، ومن خلال تحليل علاقتهما بقضايا الوطن والذّاكرة والتّاريخ تارة أخرى، فكان موضوع الهجرة وصراع الأقليّات والهجنة والإستعمار النّصيب الأكبر في المتون الرّوائية العربيّة.

ولعلّ الدّارس للنّصوص الرّوائيّة العربيّة الحديثة سيجدها زاخرة بمختلف قضايا تمثّلات الذّات والهويّة، كالتعدّديّة الثّقافيّة والهجنة وإشكالات الهويّة الضّائعة أو البحث عن الهويّة، بالإضافة إلى موضوع" الآخر" الّذي راح الرّوائي العربي يسرده معبّرا تارة عن رؤى

هذا "الآخر" الثّقافية والإجتماعيّة والسّياسيّة، ودارسا تارة أخرى علاقة هذا "الآخر" بـ "الأنا" العربي الّتي اتّسمت في كثير من الأحيان بالصّدام والعدوانية ومحاولة "الآخر" إلغاء "الأنا" واستلابها...

وانطلاقا من هذا فإنّ المفاهيم تتعدّد وتتنوّع حول التّمثّلات والذّات والآخر، والّتي تستدعي الدّراسة ضمن النّصوص الرّوائيّة الّتي نلمس فيها ذلك التّنوّع في شخوصها بين الأنا والآخر المختلف ثقافيّا واجتماعيّا ودينيّا.

لقد أدّى التقاء "الأنا والآخر" سرديّا إلى بروز قضيّة " **الهويّة Identity** " كإشكاليّة رئيسيّة حاول الرّوائي العربي دراستها، وهي إشكاليّة أثارت اهتمام الفلاسفة والدّارسين والباحثين كما حضيت باهتمام الروائيّين بشكل كبير، وهي موضوع قديم قدم الإنسان وانشغاله الاجتماعيّ والثّقافيّ لكنّه مؤخّرا قد احتلّ الصّدارة في كثير من المجالات وأبرزها الخطاب الرّوائيّ، فقد جسّدت ملامح الهويّة في الرّواية العربيّة فكانت كتابات الرّوائيّين العرب عامّة تؤكّد على التّعبير عن الوحدة وضياع الهويّة العربيّة خاصّة في حقب الإستعمار وتشير إلى تنوّع الثّقافة العربيّة الحديثة وغناها. لقد أبرزت معظم الأعمال ملامحا لهويّات محليّة مهزومة ومهزوزة تسكنها روح القابليّة للإستعمار خاصّة في الحقب الاستعماريّة، كما عبّرت أيضا عن سعي الذّات العربيّة إلى التشبّث بهويّتها الثّقافيّة و الاجتماعيّة متصدّية لمحاولات الآخر في استلابها، وعليه نحاول في هذا الفصل تحليل أهمّ القضايا الّتي ارتبطت بالذّات العربيّة في رواية" **من أنت أيّها الملاك** "وما يقابل هذه الذّات

من صراعات من أجل الحفاظ عن هويّتها الثقافيّة في مجتمع مدني رافض وغير معترف بجذورها التّاريخيّة.

المبحث الأوّل:

التّمثّلات :بحث في حدود المفهوم وحضوره في الخطاب الرّوائي العربي.

1- مفهوم التّمثّلات.

2- حضور المفهوم "التّمثّلات" في الخطاب الرّوائي العربي.

1- مفهوم التمثّلات:

1- أ- لغة :

التّمثّلات مفرده" تمثّل "وهي التّصوّر السّابق، أو المعلومات الأوّليّة عن موضوع أو قضيّة.

وقد ورد ذكر اللّفظة في القرآن الكريم، قال تعالى: <<لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ >>[1].

وأيضا قوله عزّ وجلّ في سورة مريم: << فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا >>.[2] إن الآيات التّالية لهذه الآية والّتي يعرّف فيها جبريل نفسه لمريم، خير شاهد أنّه كان حال " تمثّله " لها في صورة بشر باقيا على ملكته ولم يصر بذلك بشرا، وإنّما ظهر في صورة بشر وليس ببشر بل ملك وإنّما كانت مريم تراه في صورة بشر، وهذا هو الّذي ينطبق على معنى التّمثّل اللّغوي فإنّ معنى "تمثّل" شيء لشيء في صورة كذا هو" **تصوّره** "عنده بصورة الشّيء شيئا آخر، فتمثّل الملك بشرا هو ظهوره لمن يشاهده في صورة الإنسان لا صيرورة الملك إنسانا[3].

1 – سورة النّحل، الآية 30، عن رواية ورش.

2 – سورة مريم، الآية 17، عن رواية ورش.

3 – سلوى محسن حميدو، عبد الحميد فاضل جعفر، تمثّلات أشكال الرّموز الرّافيدينيّة في الفنّ الإسلامي، مج 2، ع 3-4،العراق، 2012، ص 507.

وتدلّ هذه اللّفظة عند ابن سيّدة: << وقد مثّل به وامتثله وتمثّله، وامتثل القوم عند القوم مثلا حسناوي هي الأمثولة. ويقال تمثّل فلان، ضرب مثلا، وتمثّل بالشّيء ضربه مثلا>>.[1]

كما أورد "**ابن منظور**" في " **لسان العرب** " معنى " **المثل** " أنّه الحديث نفسه[2].

و" التّمثيل " تصوير الشّيء كأنّك تراه وتنظر إليه.

مثّل :صوّر، رسم: " مثّل " مشهدا طبيعيّا بالرّسم".[3]

تمثّل أو تصوّر الشّيء : توهّم صورته وتخيّله واستحضره في ذهنه.

لقد أورد **ابن منظور** في **لسان العرب** تعريف المثل بقوله المثل:

<< الشّبه يقال مِثْل ومَثَل وشبه وشَبَه بمعنى واحد>>.[4]

ومنه نستنتج أن "التّمثّل" لغة هو التّشبيه بصورة أو بكتابة أو بغيرهما، أمّا" التّمثّلات " بمعنى التّصوّرات فهي عمليّة يقوم بها الفهم لإدراك المعاني المجرّدة وتكوينها.

1- ب - اصطلاحا:

يشير مفهوم "**التّمثّل**" إلى العمليّة الّتي يستوعب فيها الذّهن المعطيات الخارجيّة أو معطيات الواقع بعد أن يحتكّ بها الفرد، ويضفي عليه مستويات شخصيّة مختلفة، يؤدّي ذلك إلى أن تجتمع لدى الفرد صورة عن تلك المعطيات بشكل حصيلة هذا الاحتكاك، فتكون بالتّالي تماثلا لها.

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التّراث العربي، ط 3، بيروت- لبنان، 1999، ص 11.

2 - المصدر نفسه، ص 11.

3 - سلوى محسن حميد، عبد الحميد فاضل جعفر، تمثلات أشكال الرموز الرافيدينية في الفن الإسلامي، ص 507.

4 - المصدر السابق،ص11 .

بهذا تكون "**التّمثّلات**" عبارة عن مواقف توجه السّلوك وتحدّد عددا من الاستجابات الّتي يتعيّن أن يصدرها الفرد كردّ مباشر أو غير مباشر تجاه مثير داخلي أو خارجي، إن هذا ما يعطيها طابع المعنى والدّلالة[1].

وقد حصرها العالم السوسيولوجي "**ايميل دوركايم Emil Durkhaim** "[2] :على أنّها << تصوّرات إجتماعية تتأسس على شكل قيم ومعايير السلوك والتذوق والقول، حتى تتغيّر بتغيّر الحياة الإجتماعيّة، وتتشكّل انطلاقا من الأوضاع والمواقف في الميولات الثقافيّة، والّتي تحكم أنماط تفكيره وأسلوب عيشه والمعايير المعتمدة فيه حسب الأولويّات>>[3].

3- ج - مفهوم التمثّلات في الأدب المقارن Représentation :

يندرج مفهوم **التمثّلات Représentation** ضمن أنواع دراسة الصّورة[4] الأدبيّة أو **الصّوراتية L'imagoligie** ويرتبط هذا الأخير ارتباطا وثيقا بمفهوم الغيرية، إذ يعدّ من

1-هاروني رضوان، مفهوم التمثلات الإجتماعية، 2011، من موقع: علم النفس المعرفي، اطلع عليه بتاريخ: 2022/02/19.

2-دافيد ايميل دوركايم Davide Emil Durkhaim : هو فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا، أبرز آثاره "في تقسيم العمل الاجتماعي" عام 1893، وقواعد المنهج السوسيولوجي عام 1895، أسس رسميّا للانضباط الأكاديمي لعلم الاجتماع إذ يستشهد به باعتباره المؤسس الرئيسي للعلوم الاجتماعية الحديثة. أنظر موقع www.wikipidia.com ، اطلع عليه بتاريخ: 21 فيفري 2022.

3-التمثلات وأهميتها في بناء المعرفة العلمية، من إعداد مجموعة ملتقى التكوين المستمر، من موقع مدرسي لأساتذة التعليم الابتدائي، www.modarissi.com ، نشر بتاريخ: ماي 07- 2021، اطلع عليه بتاريخ 09-02-2022.

4-إن دراسة الصورة تهتم بمعرفة الصورة الذهنية التي يشكلها شخص عن نفسه وعن الآخرين، وتعرف الصوراتية بأنها: "العلم الذي يهتم بدراسة صورة الآخر (الأجنبي) في أدب مجتمع معين"، وقد بدأت دراسات االصورة في الأدب المقارن مع جون ماري كاريه، ثم أصبحت أحد اهم أنشطة المدرسة الفرنسية. ينظر، دانيال هنري باجو، الأدب العالمي المقارن، تر: غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا، 1997، ص 89.

أهمّ مباحث الأدب المقارن الحديثة، كما **يثبت**" **دانيال هنري باجو**" **(Danial Henry)**ذلك بقوله: << كل صورة تنبثق عن إحساس مهما كان ضئيلا ب"الأنا" بالمقارنة مع" الآخر" وب"هنا" بالمقارنة مع مكان آخر>>[1].

وهذا ما يدفعها إلى عدم القدرة على ضبط ماهيّة الغير، بل وسعيها هذا حامل بدون شكّ لتمثّلات الذّات لنفسها، إذن هي واعية بالذّات وبالغير في نفس الوقت[2].

ومن هنا فإنّ دراسة " **الصّورة** " كمجال باعتبارها "تمثيلا "لحضور الآخر في أدب من الآداب يعتبر فرع هامّ من فروع الأدب المقارن، نظرا للأهميّة المولية لهذا المجال الّذي يندرج ضمن العلاقات الثّقافيّة بين الشّعوب، وكان الدّافع الأساسي إلى الانخراط في مقاربة تمثل صورة الآخر ومحاولة فهمه هو حبّ الإطّلاع على ثقافات الآخر.

لم تعد **الصّورولوجيا L'imagologie** من الحقول المجهولة اليوم، بل باتت تعدّ من أهمّ حقول الدّراسات الأدبية المقارنة، فالصّورولوجيا مجال حيوي من مجالات عدّة، من بينها "الأدب المقارن" وإذا كانت شعوب العالم تتمثّل صورتها في آدابها بالدّرجة الأولى وبالدّرجة الثّانية تتمثل صورة "الآخر"، وإذا كان التّجسيد الأمثل لكلتا هاتين الصّورتين (الأنا) و(الآخر) في خطابات هذه الشّعوب ونصوصها الأدبيّة والفكريّة. قد بات أمرا ثابتا، فقد

1-دانيال هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ص 91.

2-المرجع نفسه، ص 91.

وجدنا "**جان ماري غراسان**" يقول:<< إن تمثّل الأجنبي وصورة الشّعب الآخر في أدب شعب آخر الّتي تطفح بها الآداب هي من صميم الصّورولوجيا>>[1].

ويتلو هذا القول قول" **جون مارك مورا(Jean-mark-maura)** في تعريفه للصّورولوجيا هي:" مجموعة دراسات الأدب المقارن المتخصّصة لدراسة تمثّلات الأجنبي ولها موضوعان متميّزان للدّراسة: سرود الأسفار (الكتابات الرحليّة) والأعمال الرّوائيّة الّتي تتناول الأجنبي".[2]

إذن فالصّورلوجيا ذلك الجانب من الإبداع الّذي يقدّم صورة واضحة المعالم عن الكيفية الّتي يكون عليها شعب في لحظة معنية، والكيفيّة الّتي يرى بها الشّعوب الأخرى وقت التماس معها أو التّفكير فيها أو الإشارة إليها.

والصّورة إذا ما تم النّظر إليها مليًّا هي" تمثيل أو (تمثّل) لواقعة ثقافيّة، عن طريقها يتمكّن الفرد أو المجموعة، اللّذان أنشأها لأوّل مرّة من الإشارة إلى الفضاء الثّقافي والاجتماعي والإيديولوجي الّذي يوجدان فيها هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية يستطيع الصّورولوجي، أن يوضّح الكيفيّة الّتي تنتظم بها تمثّلات "الآخر" بالقياس إلى الاختلافات

1-عبد الرحمان بوعلي، الصّورولوجيا وإشكالية التّمثلات الأدبيّة، مجلة دراسات وأبحاث، المجلّة العربيّة للأبحاث والدّراسات في العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، مج 12، ع 2 ، الإمارات، 2020، ص 79،80.

2- المرجع نفسه، ص 80.

التّاريخيّة والإجتماعيّة، كما يمكّنه من ناحية ثالثة، عبر إدخاله لمفهوم الحقب الزّمنيّة الطّويلة أن يلاحظ الكيفيّة التي تترسّخ أو تتلاشى بها الرّؤيات الهامّة عن الآخر".[1]

2- حضور مفهوم "التّمثّلات" في الخطاب الرّوائي:

يعدّ الخطاب الرّوائي بنية لغويّة دالّة تصوغ عالما موحّدا خاصّا تتنوع وتتعدّد وتختلف في داخله اللّغات والأساليب والأحداث والأشخاص والأمكنة والأزمنة دون أن يقضي هذا التّنوّع والتّعدّد، على خصوصيّة العالم ووحداته الدّالّة.[2] ويتمثّل الخطاب في وجود الرّاوي الّذي يقدّم الرّواية للقارئ، يتلقى الحكي والأهمّ الطّريقة الّتي إستخدمها الرّاوي لتعريفنا بتلك الأحداث فالخطاب شكل للتّعبير، والخطاب الرّوائي يركز على العلاقة التّفاعليّة بين القارئ والكاتب ويعتبرها وظيفة هامّة[3].

إذا فالخطاب الروائي خطاب إنشائي، وقد حقّق باعتباره شبكة معقدة من التّراكيب اللّغويّة الدّلاليّة كينونته الفنيّة والشّعريّة، فقد شهدت الرّواية تطوّرا في العالم العربي على مستوى الشّكل والمضمون فتعدّدت مواضيعها واختلفت طرائق التّشكيل وتقنيات البناء وقد شملت مفاهيم عديدة في شتّى المجالات من بينها مفهوم "التّمثّلات" فقد كان له حضوره

1-عبد الرحمان بوعلي، الصورولوجيا وإشكالية التمثلات الأدبية، ص 81.

2-عالية صالح، مقاربات في الخطاب الروائي، دار الكنوز للمعرفة العلمية للنشر والتوزيع،(د.ط)، عمان- الأردن، 2011، ص 10.

3-سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط 2،المغرب، 1993، ص 24.

البارز في الرّوايات العربية خاصّة أنّه ارتبط بالذّات وما تعلّق بها من سلوكات وقيم شخصيّة وإشكالات وقضايا مختلفة.

يبرز حضور مفهوم "التّمثّلات" في روايتنا المعتمدة " **لإبراهيم الكوني**" " من أنت أيّها الملاك" ولعلّ ما سبق ذكره عن "التّمثّلات" يمكن أن نلمسه في الطّريقة التي صورها الكاتب وجسّدها بقوّة وكثرة في نصّه الرّوائي شخصيّة "مسّي" بطل الرّواية الذي قدّم الكاتب من خلالها رؤيته لأحكام وقوانين المدينة والتّعامل بالعنصريّة وسوء المعاملة من موظّفي السّجل المدني للقبائل وأهل الصّحراء، ولعلّ حادثة ذهاب "الأب" إلى المدينة لتسجيل إسم مولوده الأوّل أو خليفته في الأرض على نمط أسلافه ورفض عمّال السّجلّ المدني هذا الإسم بدعوى أنّه من الأغيار عن الوطن، بالرّغم من تاريخ قبيلته العظيمة" الطّوارق" الّتي ينتمي إليها "مسِّي" دليل واضح على الصّورة السّلبية الّتي أخذها أهل المدينة على أهل "الطّوارق" وعدم تقبّلهم لهم واعتبارهم أجانب.

"وضع " مسّي" شهادة الولادة أمام موظّف السّجل المدني وقال:

يوجرتن!

حدّجه الموظّف باستفهام، فأضاف:

يوجرتن ! إسم المولود يوجرتن!

انحنى موظّف السّجلّ على القرطاس المتوّج بشعار "مستشفى الولادة" قبل أن يستنكر يوجرتن؟!...

يسأل موظّف السّجلّ :ما معنى يوجرتن؟، يجيب "مسّي" بلهجة كالاستكبار : اسم! ، الجواب لم يقنع موظّف السّجلّ ... ، فأوضح مسّي: يوجرتن اسم ككلّ الأسماء".[1]

إن كان قدوم "مسّي" إلى المدينة، وهو يحمل في روحه ذاكرة الصّحراء وتمرّدها يوقعه في بعض الأخطاء الّتي يتلخّص في أن يطالب المرء بحقّه في مجتمع مدني لا يعترف بوجود المرء ذاته، لذلك فقد اختير "الأب" بين الرّضى بقوانين المدينة المتحضّرة والعمران والأمن الزّائف مع فقدان الحريّة، أو الرّضى بالصّحراء البدويّة مع الحريّة المطلقة، لقد اعتقد "مسّي" في البداية أن المشكلة هي مشكلة إسم غير مرغوب فيه، لكنّها في الواقع كانت مشكلة صراع عميق بين التّاريخ بما هو ماضي والهويّة بما هي حاضر ومستقبل.

" مال نحوه الموظّف كأنّه ينوي أن يبوح له بسرّ، قال همسًا:

–ما أنا إلاّ عبدٌ مأمور!

تراجع إلى الوراء قليلا قبل أن يضيف:

–مثلك تماما!

استنكر"مسّي":مثلي تماما ؟ ألا تدري أنّك تصدر حكما بالموت في حقّ وريث بريء ؟

1– إبراهيم الكوني، من أنت أيّها الملاك؟، دار الفارس، ، ط 1،بيروت–لبنان، 2009، ص 12،11.

تعجّب عضو المحفل :الوريث ؟، صاح "مسّي" : بلى ! الوريث ! ليس وريثي وحدي، ولكنّه وريث البشريّة الّتي تدعي الوصاية على ناموسها! "[1]

نلاحظ هنا أن تمثّل "مسّي" لأهل المدينة أي أحكامه المسبقة ونظرته القبليّة لهم الّتي قد تحقّقت في الواقع بعد ما لقيه من معاملة عنصريّة سيّئة، اعتبرته آخرا أجنبيّا في وطنه.

ومن مظاهر"التّمثيل" السلبي للذّات في الرواية أيضا حادثة استهزاء بالآخر "أهل المدينة" من "مسّي" ،عندما ذهب ليبلغ عن سرقة "الحجر المقدّس" الّذي يعدّ كنزا من كنوز الصّحراء، وموروثا ثقافيّا ينبغي الحفاظ عليه، حيث اعتبر رجال الشّرطة هذه الحادثة حادثة بسيطة لا تستدعي كلّ هذا الحجم من الاهتمام ونجد ذلك في إلغاء الهويّة الثّقافيّة الصّحراويّة وإهمالا واضحا لموروث الذّات الصّحروايّة، لقد أدرك "مسّي" (الذّات) أنّ هويّته الثّقافيّة لا تعني نسبيّا بالنّسبة لأهل المدينة، فقد بدا "مسّي" في حواره مع رئيس المخفر مجرّد مغفّل وهو يجهل الحجم الحقيقي لهذا التّحدي الّذي يخوضه، ويالها من خيبة أمل، ولكن "مسّي" يواصل السِّجال رغم نظرات السّخرية الّتي يتلقّاها واليأس الّذي يحيط به، فيجد له في الضّمير آخر ملجأ للدّفاع عن قناعته، يقول "مسّي" في المقطع السّردي الآتي: << الحجر الّذي يحمل بصمة الأسلاف ليس كنز الدّنيا، ولكنّه وصيّة الرّوح، أفهم أن يكون الحجر الّذي تتحدّث عنه وصيّة روح، ولكن كيف السّبيل إلى إقناع أبناء هذا الزّمان بهذه

1- إبراهيم الكوني، من أنت أيّها الملاك، ص 22.

الحجّة ؟ ، ظننت آن الحيلة الّتي أعجزت سلطان العرف فلا يجب أن تعجز الحيلة سلطان القانون الّذي يملك الحقّ في أن يضرب بيد من حديد.

ابتسم رئيس المخفر بمرارة. توقّف عن سعيه وقال: يدهشني وجود المخلوق الّذي يحول إلى سلطان القوانين>>.[1]

و من خلال معاشرة المواطن الصّحراوي (الذّات) "مسّي" لأهل المدينة (الآخر) واستقراره في المدينة اكتسب ذهنه واستوعب معطيات هذا المجتمع الدّاخليّة والخارجيّة واختلافه عن المجتمع الصّحراوي، بالإضافة إلى وصوله إلى إدراك أّن الآخر في المدينة يحمل فكرا عنصريّا رافضا لأيّ اختلاف ثقافي واجتماعي، ويتّضح ذلك في عدم تقبّل أهل المدينة لأهل الصّحراء واعتبارهم دخلاء وغرباء برغم أنّهم ينتمون إلى صحراء بلادهم فقط أي من وطن واحد والصّحراء جزء لا يتجزّأ عن الوطن. هذه الأنانيّة الموجودة عند الآخر جعلت الذّات الصّحراويّة تشعر أنّها منبوذة في وطنها.

وبما أنّ "مسّي" هو مواطن قبائلي طارقي واسم ابنه" يوجرتن "الّذي أصرّ عليه للحفاظ على هويّة أسلافه ولكي يكون خليفته في الأرض حفاظا على سلالتهم الصّحراوية القبائليّة، وهذا ما أثار نار الغضب في أهل المدينة وجعلهم يرفضون اختراق قوانينهم.

لقد عمد "مسّي" إلى تحدّي أهل المدينة بإثبات ذاته وهويّته الصّحراويّة وتسجيل ابنه رغما عنهم مستعينا بثقته بنفسه، رغم علمه ويقينه بقدرة أصحاب السّلطة على غلبته : <<

1- إبراهيم الكوني، من أنت أيها الملاك، ص 243.

عبثا تتعبون أنفسكم وتنفقون الأموال الطّائلة على حشرنا في المعسكرات، وأموالا أكثر على ترحيلنا، لأنّنا سنعبر الحدود على كل الأحوال، وسنعود لنكلّفكم ثروات أخرى لإيوائنا والإنفاق علينا ما دمتم تصرّون على بناء المعسكرات، والإنفاق على حشد الجيوش لتثبيت أقدام خرافة التّرحيل>>[1].

إنّه تمثيل سلبيّ للذّات من قبل الآخر الّذي اعتبرها دخيلة وغريبة في وطنها، وتمثيل سلبي وعنصري للآخر الّذي أظهرته الرّواية بكونه المتسلّط، العنصريّ الرّافض لأبناء وطنه لمجرّد أنّهم من قبائل" الطّوارق".

1- إبراهيم الكوني، من أنت أيّها الملاك، ص198 .

المبحث الثّاني:

قراءة في عنوان الرّواية وعلاقته بمسألة الهويّة والانتماء

1- الهويّة مفهومها وتطوّراته:

2- علاقة العنوان بالهويّة:

الرّواية العربية تعتبر من أكثر الأجناس الأدبيّة والعناصر الثّقافية الإبداعيّة فاعليّة في طرح سؤال **الهويّة Identity** ومعالجته فنّيا وفكرياّ، من زاوية أن هذه القضيّة تمثّل حضورا طاغيا في الوجدان العربي الجماعي والفردي في آن واحد كما أنّها تشترك مع مفهوم الذّات والكينونة الوجوديّة للجماعة البشريّة العربيّة في علاقتها المصيريّة مع الآخر بمختلف أشكاله خاصّة أنّ الرّواية باعتبارها نوعا أدبياّ جديدا في الأدب العربي قد وصلت إلى بيئتنا الثّقافية عن طريق المثاقفة الحضاريّة بالغة التّوتّر مع الغرب.

تعدّ الرّواية من أكثر الأجناس الأدبيّة مرونة وقابليّة من حيث قدرتها على إقامة أبنية سرديّة، للولوج إلى مكامن النّفوس والعوالم الدّاخليّة لشخصيّاتها جنبا إلى جنب مع قدرتها على وصف الأوضاع الخارجيّة الظاهريّة لهذه الشّخصيات فضلا عن امتلاكها لحريّة الحركة التّخيليّة في الزّمان والمكان دون قيود فنّية.

ورغم أن قضيّة **الهويّة** من حيث كونها معنيّة بشكل من أشكال الانتماء التّاريخي الإجتماعي المشترك لجماعة بشريّة محدّدة، تمثّل ملاذا للفرد وصمام أمان لوجوده الشّخصي، رغم أنّ هذه القضيّة تعدّ من القضايا الكبرى المثارة في أوقاتنا الرّاهنة، إلّا أنّها طرحت منذ تكوّن ونشوء الدّولة.

طرحت الرّواية العربيّة سؤال "**الهويّة**" منذ فترة مبكّرة، سجّل إرهاصها الأوّل "**رفاعة الطهطاوي**" في كتابه << **تلخيص الإبريز في تلخيص باريز 1831** >> ثمّ "**علي مبارك**" في كتابه الرّوائي << **علم الدّين** >> وكلا الكتابين يصنّفان ضمن أدب الرّحلات الّذين

ناقشوا قضيّة الذّات والآخر الأوربي، ثمّ توالت التّأليفات الّتي تضمّنت سؤال الهويّة في قلب الموضوعات الّتي عالجتها الرّواية العربيّة منها<< **سيرة الأيّام** >> "**طه حسين**" ثمّ روايات "**الأديب**"، ثمّ تلاه "**توفيق الحكيم**" في روايتي "**عودة الرّوح**" و"**عصفور من الشّرق**" ...[1]

ولم يتوقّف البحث عند الأعمال الرّوائيّة الّتي تقوم على التّعامل مع "الآخر" الأجنبي، ولكنّه اهتمّ كذلك بالأعمال الّتي تطرح قضيّة الهويّة في إطار معالجتها للأوضاع العربيّة، فقد عرفت شعوب العالم منذ بداية البشريّة حتى يومنا هذا بالمحافظة على تميّزها وتفرّدها اجتماعيّا، قوميّا وثقافيّا، لذلك اهتمّت بأن يكون لها هويّة تساعد في الإعلاء من شأن الأفراد في المجتمعات، وبوجود الهويّة زاد الوعي بالذّات الثّقافيّة والاجتماعيّة، وهو ما نجم عنه تميّز الشّعوب عن بعضها البعض، فالهويّة جزء لا يتجزّأ من حياة الفرد منذ ولادته حتّى رحيله عن الحياة.

(المغترب) يبدو عليهم الخذلان والقلق والشّعور بعدم الرّضا والإحتقار وتجنّب مواجهة المشاكل، رغم ذلك فشخصيّة "يحي" المغترب حقق بها هويّة حيث استطاع أن يتأقلم مع أفراد البلد الجديد، وكذلك شخصيّة "أنيتا" الّتي كان ملاذها الاستقرار من أجل العمل.

تتّضح إشكاليّة **الهويّة** في الأدب العربي المعاصر بشكل جليّ في الرّوايات العربيّة المعاصرة، هذه الأخيرة حاولت الكتابة عن التّغيّرات والصّراعات الّتي باتت تطرأ على بنيات

1- صلاح السّروي، المثاقفة وسؤال الهوية- مساهمة في نظرية الأدب المقارن- دار كتبي للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة- مصر، 2012، ص 94.

إجتماعيّة وثقافيّة، فأصبحت بذلك الرّواية العربيّة المعاصرة تكتسي مؤخّرا صفة العالميّة، وتتجلّى هذه الإشكالية في الرّوايات العربيّة المعاصرة بمفاهيم وأشكال مختلفة ومتنوعة، ولعلّ أبرز قضاياها كانت مجسّدة في الهويّة الدّينيّة والقوميّة.

وأبرز هذه الرّوايات الّتي جسّدت هذه القضيّة كثيرة نذكر منها رواية" **حتّى العصافير هاجرت**"" للرّوائيّة" "**هاجر ميموني** "الّتي استعانت بمسألة **الهويّة** كقضيّة أساسية في روايتها حيث ركّزت على الهويّة الدّينيّة الإسلاميّة، فهي تعتبر هويّة قويّة وذلك لارتباطها بالإسلام الّذي يعبّر عن التّوحيد ولقد كثرت في هذه الرّواية هذه السّمة جاء في نصّ الرّواية << لكي يكتمل الزّواج شرعا يجب أن يوثّقه القاضي الشّرعي حسب أصول الدّين...>>[1] لأنّ من المعروف أنّه من أصول الشريعة والدين توثيق القاضي الشّرعي الزّواج ليكون بذلك قد أعلنهما زوجا وزوجة أمام الملأ بعد قراءة الفاتحة وإذا اختلّ أحد أركان الزّواج فيصبح باطلا فلا خير في ذلك إلاّ بحلال يرضاه الله ثمّ العبد.

والدّين هو الهويّة لأنّ ما يميّزنا عن غيرنا في بلد غربيّ هو ديننا ولغتنا فالهويّة عنوان لكلّ مغترب، وجاء في ذلك في الرّواية موضّح فقد كانت شخصيّة" رحمة "تمثّل خير مثال على الهويّة الإسلاميّة فهي تنتمي إلى حضارة مرموقة تتجذّر من أعماق التّاريخ ولازلت تعمّر الكون عبر الأزمنة فهي مسلمة الدّيانة ودائما ما تفتخر بهذا الانتماء الّذي يوحّد الإنسانيّة.

1- هاجر ميموني، حتى العصافير هاجرت، دار المعرفة، (د.ط) ، بومرداس- الجزائر، 2017، ص 38.

كما جسّدت الهويّات الّتي تميّزنا عن غيرنا الّتي تعدّدت في الرّواية من هويّة اجتماعيّة وثقافيّة الّتي تعتبر بمثابة بطاقة شخصيّة لكلّ فرد فهي الّتي تميّزه عن غيره من الأفراد وتثبت خصوصيّته وتحقّق وجوده بينهم من خلال ثقافته.

كذلك نجد "**إدريس يزيدي**" جسّد ملامح الهويّة في روايته" **الملاذ** "حيث يظهر حالة المغترب في بلاد الغربة، فمنهم من اغترب من أجل العلم والعمل أو لظروف سياسيّة، وما خلّفته تلك الظّروف على نفسيّة المغترب، فالإغتراب هو ما يراود الإنسان من مشاعر جرّاء انتقاله من المكان الّذي ترعرع فيه وانتقاله إلى الوطن الجديد الّذي يحاول التّأقلم فيه، ولكنّه ينتابه دائما الحنين إلى الوطن والأهل والأحبّة الّذي اضطرّ إلى مفارقتهم، من هنا تظهر أزمة الهويّة من خلال ما يصيب الشّخصيّة من قلق واضطراب في محاولة تحديد معنى وجوده في الحياة باكتشاف ما يناسبه من أهداف وأدوار، وهذه القضايا تعبّر عن حالة من الأزمة التي تحاول فيها الشّخصيّة اجتيازها لإنجاز هويّة منسجمة، والرّواية تبيّن لنا شخصيّة "يحي" المغتربة، والّتي كان هدفها من السّفر والاغتراب عن الأهل والبلد هو تحقيق رغبة الوالد في دراسة الطّبّ والعودة إلى البلد، ولكنّ للأسف تحوّلت الشّخصيّة عن الهدف الرّئيسي وانساقت وراء الأهواء الدّنيئة فأصبحت الغربة غربات، غربة عن الأهل والدّين والمعتقدات والمكان...

و يمكن اعتبارها نوعا من أزمة الهويّة من خلالها يبحث أفراد هذه الفئة عن قيم ليتبنّوها في النّهاية، ويكافحون من أجل تحديد هويّتهم الشّخصيّة من خلال اختبار الأدوار والمعتقدات.

1- الهويّة مفهومها وتطوّرها:

1- أ - مفهوم الهويّة:

لغة:

الهويّة: لغة « أن يكون الشّيء هو هو وليس غيره، وهو قائم على التّطابق أو الاتّساق في المنطق، والماهية أن يكون الشيء" ماهو "بزيادة حرف الصّلة" ما "على الضّمير المنفصل "هو" والمعنى واحد. قد يجعل البعض الماهية أكثر عمقا من الهويّة» [1].

تحمل الهويّة هنا معنى الحقيقة الكاملة في الأشياء الأحياء المشتملة على الجذور والأصول الّتي ينتمي إليها الشّخص، أو نستطيع القول أنّها مرتبطة بالنّسبة الّتي تميّزه عن غيره لما تحتويه من معلومات شخصيّة منفردة، ويختصّ بها هنا بالإنسان والمجتمع، الفرد والجماعة أي نسبت إلى موضوع إنساني خالص، فالإنسان هو المعني بالهويّة والحامل لها.

1- حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة ، ط 1،القاهرة –مصر، 2012، ص 10.

كما جاءت في **لسان العرب" لابن منظور" << " هويّة** "من الفعل" **هوى** "و"هوى " بالفتح" **يهوى**" "**هويا** "و"**انهوى** " :سقط من فوق إلى الأسفل وأهواه هو، يقال أهويته إذا ألقيته من فوق>>.[1]

من خلال هذا يتّضح لنا أنّ مفهوم" **الهويّة** "في اللّغة يتداخل أيضا مع مفهوم "الماهية" كونهما مشتقّين من نفس الجذر "هو" فإنّه يوحي إلى لبّ الأشياء أو جوهرها، إذ ركّز على الفعل المشتقّ منها :"هوى" أي السّقوط من مكان عالٍ.

وقد وردت لفظة "هوى" في القرآن الكريم في عدّة مواضع منها قوله تعالى<< وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى >> .[2]

أي من خاف القيام بين يدي الله للحساب، ونهى النّفس عن الأهواء الفاسدة لعدم سقوطه في نار جهنّم (الهاوية)، تكن الجنّة مسكنه.

اصطلاحا:

يعتبر مفهوم "**الهويّة**" **Identity** من المفاهيم الّتي تتّسم بالكثير من التّعقيد والغموض والتّعدّد من حيث دلالته وأبعاده، غير أنّه يحظى بأهميّة اجتماعيّة في الدّراسات المهتمّة بتطوّرات المجتمعات وفهمها.

1- جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر،(د.ط)، بيروت- لبنان، 1863، مادة (هـ ، و، ي) ص 115.

2- سورة النّازعات، آية 40، عن رواية ورش.

<< "**الهويّة**" من << هو...هو>> (...) بمعنى أنّها جوهر الشّيء وحقيقته المشتملة عليه اشتمال النّواة على الشّجرة وثمارها، فهويّة الإنسان أو الثّقافة أو الحضارة هي جوهرها وحقيقتها، فهويّة الشّيء هي" ثوابته "الّتي تتجدّد ولا تتغيّر، تتجلّى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذّات على قيد الحياة !(...) إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان التي يتميز بها عن غيره>>.[1]

الهويّة إذا على الرّغم من أنّها حقيقة إنسانيّة فإنّها مشكلة نفسيّة وتجربة شعوريّة، فالإنسان قد يتطابق مع نفسه أو ينحرف عنها في غيرها، فهو الّذي يشعر بالمفارقة أو التّعالي أو القسمة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، هو الّذي تنقلب فيه الهويّة إلى اغتراب، فالهويّة تعبير عن الحريّة الذاتيّة إن وجدت فالوجود ذاتي وإن غابت فاغتراب إذن هي خاصيّة للنّفس لا للبدن.

وجاءت بمعنى آخر كذلك وهو أن الهويّة إطار مفتوح يمثّل مجموعة من السّمات الثّقافيّة الّتي تمثّل الحد الأدنى المشترك بين جميع الّذين ينتمون إليها، والّتي تجعلهم يعرفون ويتميّزون بصفاتهم تلك عما سواهم من الأفراد الأمم والجماعات الأخرى[2].

ممّا سبق نستنتج أن هويّة الشّيء تكمن في السّمات الجوهريّة الّتي تحدّد أنّه "هذا الشّيء" أو "هذا النّوع" من الأشياء وليس غيره، وتميّزه عن الأشياء الأخرى، بيد أنّ الإشارة

1- محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهويّة الثّقافية، نهضة مصر للنّشر والتّوزيع، ط 1، مصر، 1999، ص 6.

2- عبد الحسين شعبان، أسئلة الهويّات في المجتمعات المتعدّدة الثّقافات بين الوحدة والانقسام، "مؤسسة مؤمنون بلا حدود"، الرباط-المغرب، 15-10-2018، ص 23.

إلى الاختلافات فحسب ليس كافيا، لأنّ جوانب الاختلاف بين الأشياء عديدة ولا يمكن حصرها، لأكثر أهميّة من ذلك << أنّ الاختلافات ربما تكون عادية أو طفيفة ومن ثمّ لا تخبرنا بشيء من الكيان الإنساني الّذي نحن بصدده>>. [1]

نعرّف **الهويّة** أيضا« بكونها تعريف من يكون شخص ما من حيث السّمة، الّتي قد تكون أي شيء منه مثلا سمة فيرسيولوجيّة للجسم، إلى معتقد، وسلالة أو تفصيل ثقافي. في واقع الأمر أنها تعرف الأفراد بوضعهم ضمن مجموعات تشارك تلك السّمة» [2].

يتّضح من التّعاريف السّابقة أنّ "**الهويّة**" هي مزيج من الخصائص الإجتماعيّة والثّقافيّة الّتي يتقاسمها الأفراد ويمكن على أساسها التّمييز بينهم، أو مجموعة الانتماءات الّتي ينتمي إليها الفرد وتحدّد سلوكه ،أو كيفيّة إدراكه لنفسه، ويجدر بالذّكر أنّ" **الهويّة** " تتأثّر بعدّة خصائص خارجة عن سيطرة الأفراد كالطّول والعرق... .

1- ب - تطوّر مفهوم الهويّة:

إنّ البحث في تاريخ مفهوم **الهويّة** يوضّح لنا ارتباط النّشأة والامتداد بالنّقاشات الدّائرة حول الأقلّيات وحركات التحرّر الوطني فمنذ منتصف القرن الماضي، بدا حضورٌ بارزٌ في

1- بيكو باريك، سياسة جديدة للهوية- المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل- تر: حسين محمد فتحي، مرا: محمود ماجد عبد الخالق، المركز القومي للترجمة، ط 1، القاهرة-مصر، 2013، ص 29.

2- عبد الرحيم العطري، ملاحظات الهوية والانتماء هنا والآن، من موقع دنيا الوطن: تاريخ النشر: 6-12-2007، https://pulpit.alwatanvoice.com، اطلع عليه بتاريخ 19-02-2022.

خارطة الإنشغالات العلميّة، خصوصا مع اتّساع دوائر النّقاش حول الذّات والآخر والمواطنة وحقوق الإنسان[1].

فرغم تأخّر الانشغال بهذا المفهوم إلاّ أنّه كان له الحضور من قبل في المتن الفلسفي الإغريقي والتّراث العربي الإسلامي، فالهويّة كقضيّة معرفيّة كانت منذ بداية التّفكير والإهتمام العلمي بها لكنّ النّظر إليها والتّنظير لها ساد أكثر في القرن الماضي.

ويعدّ "**إيريك إريكسون**" **(Erik-Erikson)**[2] من السّابقين الأوائل إلى نحت هذا المفهوم وتشريحه علميّا داخل مطبخ العلوم الإنسانيّة، وتجلّى ذلك في كتابه "**طفولة ومجتمع**" 1950[3] متحدثا عن تطوّر الهويّة بموازاة التقدم العمري، وبذلك انضمّ المفهوم إلى العيادة السّوسيولوجية مع" **إيميل دوركايم (Emil Durkhaim)** "وباحثين جدد ينتمون للمدرسة الوظيفيّة[4].

سيعرف مفهوم" **الهويّة** "تفكيكات وفتوحات أخرى مع المدرسة التّفاعلية الرمزيّة فمن الإشتغال على الذّات إلى الإستعاضة بمفهوم الهويّة وتحديدًا مع نشر" **إيرفين كوفمان** "

1-عبد الرحيم عطري، ملاحظات الهوية والانتماء هنا والآن، ص2 .

2-إيريك إريكسون (Erik-Erikson) ولد في 15 يونيو 1902 وتوفي 1994، عضو في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، أستاذ جامعي وعالم نفس تطوري ومحلل نفسي دنماركي، ألماني - أمريكي، معروف بنظريته في التّطوار الاجتماعي للإنسان، ووصفوه المؤلفين لاحقا بأنه 'عالم نفس الأنا إيركسون له الفضل أيضا كمنشئ لعلم نفس الأنا، الذي شدد على دور الأنا بأنها أكثر من خادم للهو وباحث لدراسة مراحل النمو الذي يمتد العمر كله قد اشتهر بسبب ابتكاره لمفهوم "أزمة الهوية" أنظر موقع www.wikipedia.com ، اطلع عليه بتاريخ: 17-02-2022.

3-عبد الرّحيم عطري،ملاحظات حول الهويّة و الانتماء هنا و اللآن، ص 3 .

4 - المرجع نفسه، ص 3.

لكتاب" **ندوب الجراح**" :ملاحظات حول التعاطي مع هوية ناسفة عام1963[1] ، ليستعيد المفهوم نظارته المعرفيّة ويغدوا أفق التّحليل والتّفسير.

ومع بروز مشكل **الأقلّيّات** و **الإثنيّات** في **الولايات المتّحدة الأمريكيّة** أو بالضّبط مع ارتفاع مطالب الهنود الحمر والأفارقة بالمساواة والحقّ في الإختلاف الثّقافي إلى الجغرافي إلى الدّيني، ولم يعد حكرا من ناحية الإستعمال على علماء النّفس والإجتماع.

وبانتقال الهويّة من سجلّ العلم إلى سجلّ السّياسة، أصبحت مرتبطة بمفهوم الانتماء، كمفهوم إجرائي للهويّة، يكشف الارتباط الهوياتي ويحدد طبيعة الانتماء الثّقافي والإجتماعي[2].

ولعلّ هذا ما دفع" **مانويل كاستلز Manuel castells** "إلى القول إن<< " الهويّة " هي مسلسل انبناء معنى فعل معين، انطلاقا من معطى ثقافي أو من مجموعة منسجمة من المعطيات، والتي تحظى بالأولوية بالمقارنة مع باقي المصادر>>.[3]

ومع انتهاء الحرب الباردة وسقوط جدار برلين انتقل المفهوم إلى مدخل الأزمة في شكل توصيفات جديدة، وقد تحول المفهوم من تحول الهويّة إلى التفكير في مآل الهوية.

1- عبد الرّحيم عطري،ملاحظات حول الهويّة و الانتماء هنا و اللآن ، ص 3 .

2- المرجع نفسه، ص 4.

3- المرجع نفسه، ص 4.

وبالعودة إلى حضور هذا المفهوم في الخطاب الرّوائي العربي نجد أن الرواية التي طرقت معضلات العلاقة بين الشرق والغرب، أو ما يسمى بروايات المواجهة الحضارية قد مرّت بمراحل ثلاث هي:

1- مرحلة البحث عن الهويّة: حيث تناول العمل الأدبي فكرة محاولة اكتشاف طبيعة (ال"**نحن**") من خلال اكتشاف طبيعة "**الآخر**"، وكانت هذه المرحلة في الرّوايات ظهرت قبل عام 1967 .[1]

2- مرحلة مسائلة الهويّة: وفيها نرصد الأعمال الخاصّة باغتراب البطل عن عالم آخر وعالمه الحضاري والثّقافي لعدم قدرته على تحقيق انتمائه لأي منهما، فيحدث له اغتراب في العالمين الشّرقي والغربي.

3- مرحلة فقدان الهويّة: وهي تقوم على مفهوم الضّياع واستغراق الذّات في تفاصيل الغربي، مما يفقده قدرته على معرفة ذاته الحقيقية، ومن هنا نتوصل إلى أنّ الإنسان الواحد ينقسم إلى قسمين :هويّة وغيريّة، أو يشعر بالاغتراب إن مالت الهويّة إلى غيرها أو انحرفت إليه.

لقد تطوّر عدد من الهويّات الوطنية والقومية بشكل طبيعي عبر التّاريخ وعدد منها نشأ بسبب أحداث أو صراعات أو تغيّرات تاريخيّة سارعت في تبلور المجموعة، والآخر تبلور على أساس النقيض لهويّة أخرى.

1- محمد سعيدي وهاجر مباركي، إشكالية الهوية في الرّواية العربيّة ،ص 138.

2- علاقة عنوان الرّواية" من أنت أيّها الملاك "بمسألة الهويّة:

أولى العرب منذ القديم أهميّة كبيرة بالعنوان في مخطوطاتهم بكتابته بألوان مميّزة وبخط مخالف << العنوان إظهار لخفي ووسم للمادّة المكتوبة، فالكتاب يخفي محتواه لا يفصح عنه، ثم يأتي العنوان ليظهر أسراره، ويكشف العناصر الموسعة الخفيّة أو الظّاهرة بشكل مختزل وموجز >> [1].

والعنوان في الثّقافة العربيّة هو العنصر الذي يحدّد هويّة نصّ من النّصوص ويميّزه عن هويّات أخرى، كما أنذه اختزال وتجميع وإظهار لما هو مطوي وخافٍ من المقاصد، وهو إيحاء بشيء ووعد به << العنوان للكتاب كالإسم للشيء به يعرف وبفضله يتداول>>.[2]

إنّ قراءة النّص الرّوائي تدفع القارئ إلى الرّبط بين العنوان والنّص، فقد يسعى الكاتب من خلال العنوان إلى إغواء المتلقّي بالقراءة.

يدخل العنوان والرّواية في علاقة تكامليّة وترابطيّة، الأوّل يعلن والثّاني يفسّر ويفصّل ملفوظا مبرمجا إلى درجة إعادة إنتاج أحيانا[3].

---

1 – فوزي هادي الهنداوي، سيماء العنوان في النصوص الإبداعية، نشر بتاريخ: 26-10-2016، من موقع www.azzaman.com ، اطّلع عليه بتاريخ: 20 فيفري 2022.

2 – محمد رشد، مدخل نظري لدراسة العنوان، من موقع: www.diwanalarab.com ، اطلع عليه بتاريخ: 20 فيفري 2022.

3 – رشد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان- الجزائر، 1995/1994، ص 162.

وعلى هذا الأساس يعتبر عنوان الرّواية "من أنت أيّها الملاك؟" النواة الدلالية الأصلية التي تنفجر منها الدلالات الفرعية الأخرى.

ويلاحظ قارئ رواية" من أنت أيها الملاك؟ " أن العنوان يرتبط بالمتن الروائي ارتباط السبب بالنتيجة، إنه يمثل فعلا مفتاح النص إنه البداية الكتابية التي تظهر على واجهة الكتاب كإعلان إشهاري ومحفز للقراءة.

والنّهاية المتوقّعة الّتي يرمي إلى تحقيقها النّص، أن الملاك المجهول يبقى كذلك فكانت بداية الرواية بقضية "اسم" ويعدّ مصدرا أساسيا لبناء الذّات وستنتهي كذلك فتضيع هذه الهويّة، ويرفض أعضاء السجل المدني تسجيل المولود" يوجرتن "هزم تحدّي الأب "مسّي" وإصراره على ذلك، فبعد العناء وطول الانتظار لم ينل "مسّي" سوى الوقوع في المشاكل والعودة إلى وطنه الأم "**الصّحراء**" دون إسم وهويّة ولا حتّى اسمه هو، وهكذا تتّخذ الرّواية من موضوع الهويّة موضوعا سرديا لها، تتّضح معالمه انطلاقا من العنوان الّذي يرتبط بموضوع الرّواية ارتباطا لصيقا.

إنّ الاهتمام بعتبة العنوان، يجعل المتلقّي يقرؤها قراءة نقدية تحليلية بوصف العنوان المرشد الأول لمتن النص، ولعلّ ذلك ما دفع النّقاد إلى تأملّ العتبات الأولى وتحليلها وربطها بالمتن النصي.

يعقد صفقات مع الدّولة ضدّه وصحرائه، استثناءا للشّيخ المسنّ جار "مسّي" الذي شفق على حاله وحاول مد يد العون بإنسانيّته << جاءه الشّيخ الجار ليواسيه بعد رحيل "يوجرتن" سأله مسّي: هل أنت مريض؟ أجاب بالنفي وأضاف مريض من اليوم الذي أتيت فيه إلى الدّنيا بولد طمعا في إنجاز خرافة الخلافة في الأرض ! تابعه الشّيخ بقلق، في حين أضاف "مسّي": والأقدار، كما تعلم، لا تظلمنا عندما تقتص منا بالطّبع ! تمتم الجار :هل حدث مكروه؟ أجابه بانظمام "يوجرتن" جماعة المحافل السّرية بحسرة >>.[1]

هو نوع من انشطار الذات وتمزقها بين عالمين ولهذا فالعلائق الرابطة تغدو بين اغتراب الهوية وغرائبيتها واضحة في الرواية حيث تظهر ملامحها وسماتها ظاهرها وباطنها بشرية مألوفة غير مطابقة لثقافة الآخر "مدينة العمران"، حتى مسألة التّحول و شك أصحاب السّجل في هويّة البطل "مسّي" لأنهم يعمدون إلى تغيير هويّته والإنتساب إلى ثقافتهم مع التّخلي على تراثه الصّحراوي الأصيل لإتمام صفقتهم للإستيلاء على ثرواتها و أخذ الحجر المقدّس الذي سرعان ما يكتشف "مسّي" أنها حيل تتّم بتدبير بشري خبيث، الأمر الذي عمل على زيادة توهين الهويّة وتهويمها في مجاز الحيرة والضّياع.<< أخرج" مسّي" وثيقة إثبات الهويّة ليضعها أمام الرجل على المنضد، تطلّع إليها الرجل بحذر قبل أن يتناولها بين يديه، قرأ بصوت مسموع مجبول بنبرة إدانة كأنه يوجّه تهمة :مسّي بن مسّي بسّا بن مسّي نسن! ، ألقى الوثيقة إلى الرجل المجاور ليأمر :سجل ! ثمّ سدّد إلى" مسّي" نظرة وعيد قبل أن

1- من أنت أيّها الملاك،ص 202.

يتساءل :هل هذا إسم أم أحجية ؟ !، ابتسم "مسّي" بحزن، أجاب :هذا هو الإسم الّذي لم أختره لنفسي كما لم أختر لنفسي وجهي أو لون جلدي! >> [1].

فلو بحثنا عن مصاديق تحقّق حالة الإنسجام، سنجد أن الهويّة الجمعيّة من أهم الرّكائز التي تسعى إليها الذات الإنسانية، لأن الإنخراط في وضع عام أو مجموع، يخلق سورا تلتجئ إليه الذّات يعمل على مضاعفة الشّعور بالانتماء إلى هدف، أو وطن، أو أرض، فكرة ،أو عقيدة، والهويّة.

ويعدّ العنوان إذا من أهمّ العتبات النصية الموازية المحيطة بالنّص الرّئيسي، حيث يساهم في توضيح دلالات النّص، واستكشاف معانيه الظّاهرة الخفيّة فهما وتفسيرا وتفكيكا وتركيبا، من ثم فالعنوان هو المفتاح الضّروري لسبر أغوار النصّ والتّعمق في شعابه التّائهة، والسّفر في دهاليزه الممتدّة، وبه تبرز مقاصده المباشرة وغير المباشرة.[2]

في ضوء ذلك نرى في رواية" من أنت أيّها الملاك ؟ "أن العنوان هو النص والنص هو العنوان، لارتباطه الوثيق لموضوع الهوية، إذن أن العبارة الإستفهامية التي" من أنت أيها الملاك؟ "تعبّر بشكل واضح جدا عن مشكلة الهويّة والانتماء الذي قام النصّ الرّوائي بتناولها وطرح جميع الإشكالات الّتي ارتبطت بها من خلال التّطرق إلى الصّراع الحاصل بين أهل الصّحراء وأهل المدينة.

1- من أنت أيّها الملاك، ص 91.

2- فوزي هادي الهنداوي، سيمياء العنوان في النصوص الإبداعية.

و بالرّجوع إلى عنوان روايتنا فإن" **إبراهيم الكوني**" << يبحث عن الملاك المنقذ، ولا يسأل عن هويّته التي يعرفها حق المعرفة، لذلك فالعنوان الأفضل (أين أنت أيها الملاك؟) لتنقذ هذا الشعب، إنها صرخة يائسة، فقدت كل نافذة للأمل قالها من خلال رواية فنية حاولت أن تجسد هذه الصّرخة >>. [1]

يرتبط عنوان الرّواية مباشرة بقضيّة الهويّة والانتماء، الّتي شكّلت إطارها في النصّ الرّوائي فكانت الانطلاقة من أزمة التّسمية عندما حاول "مسّي" تسجيل مولوده في دائرة النفوس، حيث أراد "الأب" تسميته "يوجرتن" ليستعيد ذكرى الأسلاف به، ويحافظ على تقاليده الصحراوية، فبهذا يتبنّى طلب هويّة الابن كوسيلة أو سبيلا لإثبات هويّته الثّقافيّة القبائليّة الطّارقيّة المنبوذة من أهل المدينة بعد أن غادر حياة التّرحال في الصّحاري واستقرّ بالمدينة، محاولة منه استرجاع أبسط حقوق هذه المنطقة المضطهدة والمحرومة في أرضها كأنها أرض غربية فقط لأنه لا يمكن دمجها في مصطلح العروبة، فالقومية العربيّة لا تعترف بهؤلاء المختلفين عنها باللّغة، والثّقافة، والدّين وحتّى التّاريخ الجاهلي الطّارقي لخوفها من طمس وزعزعة وحدتها الهوويّة.

من خلال العنوان يتّضح لنا أن الكاتب يقف موقفا إنسانيّا مع بطل الرّواية" الملاك " الّذي لم يقترف أي إثم يمنعه من الانتماء إلى ماضي أجداده العريق وهو بذلك يثير مسألة

1- غسان غنيم، عنوان "من أنت أيها الملاك" ؟ ! وقضية اندثار شعب، مجلة جامعة دمشق، مج 29، ع2-1، دمشق- سوريا، 2013، ص 365 .

التمييز العرقي الذي مورس ضد << الأمازيغ>> أو << الطوارق>> الذين ينتسب إليهم الكاتب "**إبراهيم الكوني**" والّتي جسّدها في البطل "مسّي" الطارقي القبائلي الذي يعتزّ بنفسه ومجتمعه ،ويعتبر الصّحراء أنفسهم أصل الجنوب من أوّل الحدود اللّيبية في الشّرق حتى الحدود المغربيّة بالغرب، وبينما تعامل السّلطات أهل الصّحراء معاملة الأقليّة العرقيّة المشكوك فيها طوال الوقت، وتحرمهم من مجرّد ممارسة تقاليدهم ولغاتهم وأزيائهم، حتى أسماؤهم التي توارثوها جيلا عن جيل، هذا الملاك يعتبر الجيل المنقذ لهذا الشّعب المهمش والمسلوب في أبسط حقوقه رغم وفائه لوطنه أكثر من أهل المدينة.

تناولت الرّواية انطلاقا من عنوانها قضيّة مهمّة وهي الهويّة الوطنيّة وذلك واضح من خلال محاولة الأب" مسّي "استخراج شهادة ميلاد لابنه الذي اختار أن يسميه" يوجرتن " ومعناه" بطل الأبطال "لكي يحافظ على وصايا الأسلاف ونجد ذلك متجليا في المقطع السردي الآتي : << وضع مسي شهادة الولادة أمام موظف السجل المدني، وقال" :يوجرتن"؟ انحنى موظف السجل على القرطاس المتوج بشعار << مستشفى الولادة>> ، قبل أن يستنكر:يوجرتن ؟ ! أجاب "مسّي" بغمغمة مبهمة، ويبدو أن موظف السجل المدني قرأ في الجواب استهتار بالأعراف، أو استهانة بهيبة الدولة>>. [1]

كما نجد مسألة "الهويّة" متجسّدة أيضا عندما شكّك عمّال المدينة في هويّة "يوجرتن" وذلك عندما اصطحب "مسّي" ابنه فأخرج له والده وثيقة إثبات الهويّة.

1- من أنت أيّها الملاك، ص 11.

<< تنحى "مسّي" وتراجع خطوة إلى الوراء في حين لاحقه الرّجل: ما الذي يثبت في أبوتك لهذا المخلوق من دون شهادة ميلاد؟ أدخل "مسّي" يده في جيبه وأخرج وثيقة إثبات هويّة، قدّم للرجل قائلا:

هذه بطاقة إثبات هويّتي إن كنت لا تصدق!

تطلع إليها الرجل بازدراء قبل أن يزمجر:

هذه بطاقة تثبت هويّتك أنت، ولكن ما الّذي يثبت لي أنّك أب الولد؟>> [1]

"**يوجرتن**" اسم يعني في لغة الأسلاف " بطل الأبطال"، ولكنّ المشكلة أنّ القانون لا يرغب بل يرفض رفضا قاطعا كل رمز، والاسم هنا أحد هذه الرّموز يحيي التّاريخ بأحداثه أو شخصيّاته، وهذا ما بينه الحوار بين "مسّي" وأحد الذين استجوبوه:

<< أليس خطيئة في حقّ الوطن أن نمنع من التّداول تلك الأسماء الّتي افتدى أصحابها حريةّ الوطن بأرواحهم يوما؟!

– نحن نضع وحدة الهويّة فوق كل اعتبار، لأنّنا لا نحيا بناموس التّاريخ ولكنّنا نحيا بقوانين الواقع الحاضر .

– اللّهفة على وحدة الهويّة لا تجيز لنا أن نطلق النّار على التّاريخ !

سكت صاحب الاستجواب فأضاف" مسّي":

1– من أنت أيها الملاك، ص 55، 56.

– إكبار الأسلاف لا يهدّد وحدة الهويّة، لأنّ شروط أي وحدة هويّة إنما تكمن في لمّ شمل الأجزاء، لابدق الإسفين في الكيان ليفتّت إلى أجزاء! >> .[1]

إنّ المشكلة إذا لم تكن مشكلة صراع عميق بين التّاريخ بما هو ماضي والهويّة بما هي حاضر ومستقبل.

لقد كان لفقدان "مسّي" لبطاقة هويّته مصدر فكرة "لاغتراب" الّتي كانت السّلطات تؤمن بها، فبالرّغم من أنّه ابن الوطن، مدينة كان أو صحراء إلاّ أنّ القانون كان يعتبره أجنبيا، وقد أخبره أحد المستجوبين أنّه ما كان عليه أن يهجر الصّحراء نحو المدينة، لأّن الإغتراب في عرف الوطن خيانة للوطن.

<< خاطب رفيق منفاه في جوف السّجل المدني قائلا:

خرجت في غزوة لاسترداد الاسم المغتصب فإذا بي أجد نفسي وقد أضعت في طريق العودة، إسمي أيضا إلى جانب الاسم المغتصب!

اغتصب ضحكة مريرة قبل أن يضيف:

– أنا الآن أيضا بلا إسم!

رمقه موسى برثاء قبل أن يتمتم:

يصعب تصديق هذا!

1– من أنت أيّها الملاك، ص 98.

هل سبق لك وسمعت لمخلوق ينتزع منه اسمه كما ينتزع الثوب، بعد أن قطع في العمر شوطا كهذا؟

ردد موسى :يصعب تصديق هذا!

– أنت تعرف بالطبع ماذا يعني في هذا الزمان أن يجد الإنسان نفسه عاريا من الإسم>>.[1]

يرتحل بنا **إبراهيم الكوني** عبر الصّحراء إلى أسئلة الهوية :الأمل واليأس، التصوف، القتل، الحب والكره، والتضحية ...بين الصّحراء والمدينة، شخصيّات قويّة يحتويها السرد المميز، بين أجواء المدينة والصحراء، حيث تناول الأديب" **إبراهيم الكوني** "في هذا العمل الرّوائي قضيّة الانتماء وضياع هويّة شعب الصّحراء بتقاليده وأعرافه وقيمه الحضاريّه.

"مسّي" و"يوجرتن"، الأب وابنه الشّخصيّات الرّئيسيّة في هذه الرّواية المجسّدة لمشكلة هويّة الأقليّات، الهويّة الأمازيغيّة /الطّارقيّة ب"الذّات"، وأفرادها التّائهين بين الرّجوع لأمهم الصّحراء التي سلب كنوزها الأغيار أو البقاء في المدينة التي تهشمّهم ولا تعترف سلطات ومراكز الدّولة الإداريّة بهم ولا بأقلّ حقوقهم كمواطنين.

1– من أنت أيّها الملاك، ص 104.

المبحث الثّالث:

أنواع وقضايا تمثّلات "الذّات" في الرّواية

1- التّمثل الثّقافي و الاجتماعي للذّات و الآخر و علاقته بالتّاريخ و الّدين و الذّاكرة .

2- مظاهر الصّراع الاجتماعي والثّقافي بين الأنا والآخر بين حريّة الصّحراء وتسلّط المدينة:

1- مفهوم التمثّل الثّقافي و الاجتماعي للذّات و الآخر و علاقته بالتّاريخ و الدّين و الذّاكرة :

يعتبر تعريف " **فرانز بواس** " **(FRANZ BOAS)** نموذجا للتّعريفات الوصفيّة إذ أنّ الثّقافة تتضمّن كل مظاهر العادات الاجتماعيّة في المجتمع المحلّي , واستجابات الأفراد نتيجة لعادات الجماعة الّتي يعيشون فيها ، ومنتجات النّشاط الإنساني ، إذا فالتّمثّل الثّقافي ينتقي جانبا معينا من الثّقافة مثل التّراث الاجتماعي وذلك الكلّ المتعلّق بأسلوب الحياة كما تحدده البيئة الاجتماعية المتكوّنة من المعاني و القيم و المعايير و التّفاعل و العلاقات بينهما ، و الأشكال المتكاملة لها و يتجسّد كل ذلك في الأفعال الظاهرة في العالم الواقعي الثّقافي الإجتماعي .[1]

1-1- مفهوم التّمثل الثّقافي و الاجتماعي :

1-1-أ- التّمثل الثّقافي :

يتفاعل مصطلح **التّمثّلات الثّقافيّة** بفعل عامل الثّقافة، والّتي هي الأخرى تترك بصمتها في الفكر الإنساني وتدفع الإنسان لأن يتعايش مع أحداث الواقع ويصوغها على شكل أفكار يدركها بعقله

التّمثّلات الثّقافيّة في المفهوم الاصطلاحي هي مصطلح يشير الى نظام المعرفة والنّشاط النفسي ومعانيها الثّقافية الخاصة الّتي تعكس التجربة الفردية للإنسان ففي علم

1-محمد عاطف ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، (د،ط)، بيروت-لبنان، 2005، ص 110-111 .

النفس يقصد به الإدراك والصّور العقلية الّتي يربط محتواها بوضعية او موضوع في العالم المحسوس أين يدور مصطلح التّمثيل.[1]

وعليه فالتّمثيل الثّقافي نموذج للسّيطرة وتكليف الأفعال والسلوك والعلاقات والمعاني وطرائق التفكير هدفه كشف الدّلالات الثقافية التي تكون موضوع التحليل والكشف والتّأويل ، فهذه الدّلالات ليست من صنع مؤلّف فرد، لكنها مندرجة في الخطاب بفعل سيطرة نموذج ثقافي شامل يقوم بضخ محمولاته في ثنايا الخطاب ، فحسب **إدوارد سعيد (EDWARD SAID)**: « الثّقافة تعدّ مصدرا من مصادر الهويّة » [2]

ويندرج تحت مفهوم التّمثّل الثّقافي كل ما يتعلق بالإنسان و أساليب عيشه وكنموذج يبرز الفوارق الثّقافية بين الثنائية المعتمدة "الأنا " المواطن الصحراوي و " الأخر" المدني المتحضر، فأهل الطّوارق يسكنون خياما مصنوعة من الجلد أو الحصيرة أو القشّ، بينما يسكن أهل المدينة العمارات و المباني العصريّة، ففي الوقت الذي يستفيد فيه أهل المدينة من السّكن التّساهمي وسكنات دولية مجانا فإنّ الطّارقي يلجأ إلى بناء خيمة مغطاة بجلد الحيوانات أو الحصير .

« جاء لزيارة "مسّي" نزيه الفاضل. جاء ملفوفا بقناع الصّحراويين كما رآه أخر مرة، فمازحه إن تواجها في غرفة الجلوس: يبدو انّك استمرأت قناع الصّحراويين إذ لم تجد حرجا في

1-علي أحمد بومعزي ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستر في علم الاجتماع ، تخصص تنمية و تسيير الموارد البشرية ، جامعة منتوري ، قسنطينة – الجزائر 2010 / 2009 ،ص 22 .

2- صلاح السروي ، المثاقفة و سؤال الهوية " مساهمة في نظرية الأدب المقارن"،ص50 .

ارتدائه حتّى في شوارع المدينة، أحكم نزيه اللّثام حول وجنتيه قبل ان يقول : ماذا يفعل من اخفق في إخفاء النّوايا بقناع الوجوم على طريقة أهل السّجل المدني، غمر أن يتقنّع بلثام القماش على طريقة الصّحراويين ؟

ولكن قناع أهل الصّحراء يخفي وجها ، ولكن هيهات ان يفلح في إخفاء الّنوايا »[1]

هنا تبرز طريقة عيش الطّوارق الصّحراويين وثقافتهم وعاداتهم في مقابل طريقة عيش الإنسان المدني حتّى من ناحية اللّباس لاختلافه وتفرّد كل منهما بثقافته الخاصّة به، ويتمدّد هذا الإختلاف إلى أكثر من ذلك بحيث تشمل حتى جانب التّسلية فكل من المدينة والصّحراء طريقة خاصّة لتسلية الإنسان، وهذا ما يوضّحه "مسّي" في المقطع الأتي : «لا أنكر أنّ التّسلية تسري في دم المخلوق حتى لو كان مريد عزلة، ولكن للصّحراء القدرة على تجريدنا حتّى من هذه العلة عندما تميت فينا الجسد لتحيي الرّوح، لا أتخيّل ان يحيا الإنسان بلا فعل؟ بالصّحراء نستبدل بفعل اليد فعل القلب ولكنّ الشّك لم ينطفئ في عين نزيه. فأضاف "مسّي" إذا كان فعل البدن ضرورة فهناك الإبل: هل ستشتري إبلا؟ بالطّبع. ألم تقل مرة إنّ الإنسان لا بدّ أن يطارد شيئا ؟ ابتسم نزيه، فأضاف "مسّي": إذا كانت المطاردة شرط الحياة في المدن، فكيف لا تكون شرطا في عزلة الصّحراء ؟ » .[2]

1 – من أنت أيّها الملاك ،ص 215 .

2 – المصدر نفسه، ص232 .233.

1-1-ب- التّمثّل الإجتماعي :

يرجع أغلب الباحثين و الدّارسين أنّ مفهوم " **التّمثّل**" لأوّل مرّة في كتاب الفيلسوف " **أرثرشوبنهاور**" سنة 1818 حيث يرى " العالم هو تمثّل، أي أنّه يكون قائما هناك بالنّسبة لشيء أخر،أعني بالنّسبة لذلك الّذي يتمثّله وهو الشّخص نفسه " [1]

ولذلك فإنّ العالم بوصفه تمثّلا " الجانب الّذي نتأمّله بمفرده هاهنا يتألف من نصفين جوهريّين ضروريّين ومتلازمين والنّصف الآخر هو الموضوع، ما يكون خاضعا لصورتي المكان والزّمان اللّذين تنشأ من خلالها الكثرة أمّا النّصف الأخر – هو الذّات – فلا يقع في إطار المكان و الزّمان، لأنّه يكون كلاّ مجملا و لا يتجزّأ في كل موجود يقوم بفعل التّمثّل"[2] يستخدم مصطلح التّمثّل الاجتماعي ليشير إلى فكرة معيّنة توجّه الفهم، وهناك رؤى مختلفة للتمثّلات في العلوم لاجتماعية حيث تعتبرها أدوات تستخدم في البحث، يفكر الباحث في ضوئها، فهي مركبات عقلية، تعكس وجهة نظر معيّنة، وتركز على بعض جوانب الظّواهر ، في الوقت الّذي تتجاهل فيه ظواهر أخرى فإن التّمثّلات التي يستخدمها شخص معين لها تأثير هام في إدراكه للواقع . [3]

ضف الى ذلك فالتّمثّل الاجتماعي يوحي إلى نوع من التّصوّرات الاجتماعيّة التي تتكون من خلال تجارب الفرد في الحياة وعبر نماذج التّفكير الّتي يستقبلها خلال التّربية

1 – أرثرشو بنهاور، العالم إرادة وتمثلا ، المركز القومي للترجمة ، ط1 ، القاهرة–مصر، 2006 ، ص55 . "

2 –المرجع نفسه ، ص 58 .

3 – محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، ص . 89–90.

والتّنشئة الاجتماعيّة وعن طريق التّفاعلات الحاصلة في علاقته الاجتماعيّة، والّتي تشكّل لديه نظام تصوّر للقيم والممارسات، وتتحكّم في استجاباته وردود أفعاله إزّاء موضوعات وقضايا محدّدة، وهو بهذا المعنى عبارة عن شكل من إشكال المعرفة الخاصّة بالمجتمع، وحسب بين ما هو فردي وما هو اجتماعيّ، تتيح للأفراد والجماعات سبل الاتّصال والتّواصل ضمن بيئة ديناميّة للمعرفة، وفي هذا السّياق يعرف **سيرج موسكوفيتشي** التّمثّل الاجتماعي على« أنّه صورة مشبّعة لمجموعة من المعاني والأنساق المرجعيّة، التي يتمّ من خلالها معرفة وتأويل وتحليل وتفسير ما يحدث في حياتنا اليوميّة بمختلف تعقيداتها ، بهدف استيعاب الواقع وفهمه وإعطاءه دلالة معيّنة» . [1]

ومنه فالتّمثّلات الاجتماعيّة تلعب دورا هامّا في فهم الأفراد والجماعات للعالم الّذي يحيط بها، وفي تحديد علاقاتها مع بعضها البعض، هدفها الأساسي الحفاظ على صورة ايجابيّة للذّات وانتماءاتها الثّقافيّة والاجتماعيّة وحفظ تكيّفها واندماجها الاجتماعيّ، إنها تعكس وبشكل جوهريّ الطّبيعة الجمعيّة للإنسان بوصفه كائنا اجتماعيّا .

لا يقتصر التّمثّل الاجتماعي على تصوّر الأفراد الّذين يكوّنون المجتمع، فهو يتكوّن من مجموعة ظواهر نفسيّة واجتماعيّة تقتضي عزل الجانب الفردي عن الجانب الاجتماعي، و التمييز بين الجانب الإدراكي و الجانب العقلي للعمل الجماعيّ .[2]

1 – محمد لهبوب ، العلاقات الاجتماعية وسيكولوجية الإندماج ، علم النفس ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة ابن طفيل ،المغرب، (د ت)، ص 1.

2 – مليكة جابر ، التمثّلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين لفرص بعد التخرج ، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، ع 18 ، ورقلة – الجزائر ، مارس 2015 ، ص 17– 18.

لقد أدرج الرّوائي الصّحراء في رواية " من أنت أيّها الملاك " ليحدث نوعا من المقارنة بين المدينة التي رأى أنّها تحدّ من حريّة الفرد بسبب قوانينها الظّالمة بخلاف الصّحراء التي كانت بمثابة الأم الّتي تبعث الطمأنينة وتمنح الحبذ الخالص لأبنائها بالرغم ما تتميّز به من ظروف قاسيةً حرارة وجفافً إلاّ أنّه لا يمكن أن يفارقها. بل سيظل متمسكا بأعرافها ومعتقداتها وإن ابتعد عنها لأنّها تسكنه والمقطع الأتي يوضّح طبيعة الحياة الاجتماعية للإنسان الصّحراوي « زفر الابن باستخفاف، فأضاف الأب: في الصّحراء لن تكون في حاجة إلى اتّخاذ أسماء سريّة، بل لن تكون في حاجة إلى اتخاذ الاسم أصلا![1]».

يتميّز المجتمع الصّحراوي بالإيمان بما يسمّى بالحجر المقدّس و الوصايا الّتي يجب على كل مواطن صحراويّ الأصل طارقيّ قبائليّ الدّم أن يمارس هذا الواجب الوطني ويورثه لأبنائه حفاظا على عدم ضياعه، وكان هذا الحجر المقدّس احد أهمّ الوصايا التي ينصّ عليها أسلاف هذا المجتمع لدرجة أنّ من استهان أو استهتر بهذه الوصايا أو أفشى سرّهم للدّخلاء يكون مآله الفناء ليحتسب من الخونة للوطن مثل ما جرى تماما ليوجرتن، عكس أهل المدينة الّذين ينظرون لهذه الأحجار والوصايا على أنّها خرافات وأساطير القدامى المتخلفين ولا يعيرونها تلك القيّمة العظمى الّتي يقدّمها الإنسان الصّحراوي لها، ليس هذا وحسب بل وينظرون إليها على هيئة كنوز وثراء تختزنه الأراضي الصّحراويّة ويلهثون لإخراجها وإعادة تسويقها بأثمان باهضة خارج البلاد « ففي الصّحراء يأخذ الآباء أبنائهم من أحضان أمّهاتهم ليعيدوهم إلى أحضان أمّهم الكبرى، أمّهم الحقيقيّة الصّحراء، لتعلمهم

1 – من أنت أيّها الملاك ،ص186–187.

الحكمة، أمّا في دنيا العمران فالأمّ هي المعقل الأوّل والأخير. والأمّ كما تعلم معقّل هشّ، كما أنّ علمها علم هشّ! أمّا الأب فلا يجد ما يفعله في هذه الرّحاب العمرانيّة إلاّ أن يحوم حول هذا المعقل الهشّ، ممنّيا نفسه بذلك الأمان المزوّر الّذي تهبه الملكيّة، لأنّ ناموس الأمّة العمرانيّة هو الّذي يمليها بالحسنى، فإن سوّلت النّفس الأمّارة بالسّوء بعصيانها فرضها هذا النّاموس بقوّة »[1]

في هذا المقطع السّردي مقارنة واضحة بين المجتمعين الصّحراوي والمدنيّ بما يشمل سلطة كلّ منهما، فالصّحراوي مضبوط وملزم باتّباع وصايا الأسلاف، أمّا المدنيّ فهو خاضع إلى سلطة الدّولة وقوانينها الصّارمة، إضافة إلى أنّ الصّحراء تتميّز بالسّكون والهدوء بخلاف ضجيج المدينة وازدحامها طوال الوقت.

« في طفولتي كان الأشياخ يحرّمون علينا الكلم قبل شروق الشّمس، لأنّ الجعجعة في عرفهم خطيئة تبطل صلواتهم الّتي تشترط الصّمت أوّل ما تشترط !»[2]

إنّها واحدة من عادات أهل الصّحراء، التزام الصّمت ومنع الكلام قبل لوع الشّمس ليتمتّعوا بتأمل الطّقس ويحسّون أنهم يولدون من جديد في مطلع كلّ يوم جديد.

1 – من أنت أيها الملاك ، ص 164.

2 – المرجع نفسه، ص 168.

1-2- علاقة التمثّل الثّقافي و الاجتماعيّ بالتّاريخ و الدّين و الذّاكرة :

1-2-أ - علاقة التمثّل الثّقافيّ و الاجتماعيّ بالتّاريخ في الرّواية :

عرف شعب الطّوارق الصّحرواي عبر مراحل التّاريخ المختلفة انّه شعب مميّز بأصالته و تقاليد لا يشاركهم فيها أحد، توغلوا في الصّحراء، تجوّلوا وجابوا أفاقها، واتّخذوها في النّهاية موطنا لهم وأصبحوا اليوم فرادى وجماعات متفرّقين بين دول الصّحراء الكبرى هؤلاء هم طوارق ليبيا، وتتركّز مناطق تجمّعهم داخل ليبيا في الجنوب الغربي، حيث تعدّ موطنهم الأصليّ.

جزء كبير منهم من دون جنسيّة، ثبت أنّه في عهد "**معمر القذّافي**" ، سمح لبعض طوارق ليبيا بالحصول على أوراق ثبوتيّة، لكن ظلّ جزء كبير منهم من دون جنسيّة، لأنّ بعض الدّوائر الرّسمية كانت تعتبر أنّ بعضهم ينحدرون من دول أخرى كالنّيجر ومالي . [1]

يسكن الطّوارق الصّحراء الكبرى منذ القدم حيث يتّصف "الشّعب الأزرق" بالأصالة ويعرفون بتقاليد اجتماعيّة وثقافية خاصّة يتميّزون من خلالها عن باقي المكونات الثّقافية والاجتماعيّة لسكان الجنوب اللّيبي، لكن فئات واسعة منهم تعاني أوضاعا صعبة بسبب الحرمان من الجنسية وما يتبعها من حقوق مدنية وسياسية، وهذا ما أكده رئيس طوارق ليبيا "**مولاي قديدي**" [2].

---

1 - 8 معلومات قد لا تعرفها عن طوارق ليبيا ، أصوات مغاربية ، ت 6 مارس 2018 ، من موقع : www.de maghrebvoices.com اطلع عليه يوم الجمعة 25 فيفري 2022 .

2- المرجع نفسه.

إضافة إلى ذلك هناك طائفة كبيرة من عائلات الطّوارق لم تتحصّل على الرّقم الوطني المعتمد في جميع قطاعات الدّولة، وهم بذلك يحرمون من الجنسيّة اللّيبية ويمنعون من الحقوق المدنيّة و السياسيّة .

ما يمنعهم من الاشتراك في الانتخابات فيلجؤون إلى اختيار ممثّليهم بحريّة وديمقراطية .

يشعر طوارق الصّحراء في ليبيا أنّهم محاربون في بلادهم بحرمانهم من حقّ المواطنة، وأن هناك من يريد إيصال رسالة لهم أنّهم ليسوا ليبيّين، من طرق سلطة المدنية المسيطرة على البلد بكل جوانبه شرقا، غربا، شمالا و جنوبا، وهو الأمر الذي يعدّ جريمة إنسانيّة وسياسيّة لا يمكن لأهل الصّحراء السّكوت عنها. وهذا الّذي واجهه "مسّى" المواطن الطّارقي الصّحراوي في الجانب الشّمالي "المدينة": « لم يتلقّ من النّاس إلاّ الإنكار القاسي المسربل بأنصال الإدانة المسبّقة ولكنّه رغم ذلك، لم يجد ما يعبّر به عن امتنانه سوى عبارة مبتسرة لا وطن آخر لي يمكن ترحيلي إليه، اللّهم إلاّ إذا قرّرت السّلطات إعادة ترسيم الحدود لفصل المدينة عن الصّحراء »[1].

هناك أناس نازحين من الطّوارق بسبب انعدام الخدمات الاجتماعية والصّحية وغياب حقوقهم التعليمية، وقد حاول أصحاب السّلطات منذ سنوات صلح الصّدع وإرجاع النّازحين لمناطقهم، ولكن ذهبت هذه الجهود ولم يحصل هؤلاء من أي جهة محليّة حكوميّة او دولية على ضمانات يعدم التعرّض لهم و هذا ما تعرّض له المواطن " مسّي " و"ابنه" في المدينة.

1 – من أنت أيّها الملاك ، ص 131 .

« يقول رئيس المخفر ل"مسّي" يتخيّل لي أن أمثالك من المواطنين مخلوقات هبطت من كوكب آخر، لأنّ حميّ المنفعة التي استحوذت على الخلق في هذه المدينة لتخيّل كل شيء من مرّ الأزمان، وعلى رغم ذلك فإنّ معينها لا ينضب !».[1]

وبالعودة إلى نصّ رواية " من أنت أيّها الملاك؟ " نجد أن "مسّي" من خلال نزوحه إلى المدينة بحجّة إبنه، يهدف إلى تحقيق مبدأ المواطنة والمواساة في الحقوق والواجبات ففي المحطّات التّاريخية القديمة لمجتمع الطّوارق الصّحراوي ثبت أنه لم يكن للطّوارق الحقّ في التّصويت في أيّ إستحقاق دستوري، كما أنّ أبناء القبيلة ليس لهم رقم قومي وكثير منهم لا يحمل جنسيّة ولا أوراق ثبوتيّة، لأنّ أصولهم في دول أخرى، لذا فهم يطالبون منذ عقود يدمجهم داخل المجتمع اللّيبي وحصولهم على كافّة حقوق الليبيّين « نعت الضّابط "يوجرتن" بالمتسلّل فقرّر أن يدافع عن نفسه بتلك العبارة إشارة إلى لهجة الخصم التي تبرهن على انتمائه المغتربين العائدين من بلد مجاور» [2].

في موضع آخر تمسّك "مسّي" بتاريخ مجتمعه الصّحراوي وحاول الحفاظ على حضارة الأسلاف من الضّياع وبالعودة لأحداث الرّواية نلاحظ أنّ" مسّي" قد اتّخذ من إسم ابنه " يوجرتن "وسيلة الموروث الثقافي في للأسلاف، حيث أصرّ على احتفاظ ابنه بهذا الاسم الّذي يعني "بطل الأبطال" أو "البطل الأكبر" من أجل إثبات الهويّة الثّقافيّة والتّاريخية و الاجتماعيّة لإبنه الطّارقي الصّحراويّ، وبسبب هذا الإصرار على الاسم الصّحرواي تعرّض

1- من أنت أيّها الملاك ،ص 229 .

2 - المصدر نفسه ، ص 122.

"مسّي" لمشاكل وصراعات عدّة، الأمر الذي أدى به إلى تهديده بالسجن من طرف عمّال السّجل المدني في المعسكرات المخصّصة للاّجئين أو النّازحين من الصّحراء، تصرّف عمّال السّجل المدني دليل على رفض إنتماء "مسّي" وابنه الطّارقي إلى مجتمع المدينة الأمر الّذي أشعر "مسّي" بالظّلم والاستحقار وبأنّه محارب في بلده ومحروم من حقّ المواطنة ، و يتّضح ذلك في المقطع السّردي الأتي: « كان عليه أن يختار الرّحيل إذا شاء أن يجتنب التّرحيل، كان عليه أن يستجير بصحرائه إذا جاء ألا يجد نفسه غريبا في صحراء الأغراب، أحدهم روى له كيف كانت السّلطات ذات الاختصاص تحشر كل المشبوهين في بطون عربات الشّحن لتتخلّص منهم خارج الحدود، تماما كما تتخلّص عربات القمامة من شحنات الفضلات خارج حدود المدينة » [1].

اسم "يوجرتن" كان بمثابة خطيئة اقترفها "مسّي" في حقّ هيبة الدّولة واخترق قوانيها المفروضة والسّائدة في المجتمع المتحضّر (المدينة) وهذا ما اشعر "مسّي" وكأنه يتسوّل للإستفادة من حقّه المشروع في بلده ويتّضح ذلك جليّا في المقطع السّردي الآتي: «ولهذا السّبب لم يكتب للمواطن "مسّي" أن يتخيّل في وقفته في ذلك اليوم، مدى الخطر الّذي حاق به لا لخطيئة اقترفها في حقّ عرف هذا السّجل المجيد أو في حقّ هيبة الدّولة أو في حقّ النّاموس الأخلاقي السّائد في المجتمع، لكن لمجرد الإعتزاز بالنفس الّذي استشعره هذا الموظف بقرون استشعار لا تخفى عليها خافية، وهي الّتي اعتادت أن ترى في النّاس مجرّد

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 197.

بهائم في أحسن الفروض، بل وحتّى حشرات في أسوأ الفروض»[1]، وهنا نتساءل ما سرّ هذا تسبّب بعدة كوارث للأب الّذي لم يكن يريد من وراء كلّ القصة سوى أن يسجّل اسما اختاره هو لخليفته من بعده للحفاظ على تراث الأسلاف.

"يوجرتن" اسم يعني في لغة الأسلاف "بطل الأبطال"، ولكن المشكلة أنّ القانون لا يرغب بل يرفض رفضا قاطعا كل رمز والاسم هنا أحد هذه الرّموز، يحي التّاريخ بأحداثه وشخصيّاته أو نواميسه، وهذا ما يبيّنه الحواريين "مسّي" وأحد الّذين استجوبوه: «أليس خطيئة في حقّ الوطن أن تمنع من تداول تلك الأسماء التي افتدى أصحابها حرّية الوطن بأرواحهم يوما ؟ نحن نضع وحدة الهويّة فوق كل اعتبار، لأننا لا نحيا بناموس التّاريخ ولكنّنا نحيا بقوانين الواقع الحاضر اللّهفة على وحدة الهويّة لا تجيز لنا أن نطلق النّار على التّاريخ».[2]

إنّ المشكلة إذا لم تكن مشكلة اسم غير مرغوب فيه وحسب كما اعتقد "مسّي" في البداية، ولكنّها في الواقع كانت مشكلة صراع عميق بين التّاريخ بما هو ماضي وهويّة بما هي حاضر ومستقبل.

1-2-ب- علاقة التمثّل الإجتماعي والثّقافيّ بالدّين في الرّواية:

الطّوارق مجتمع مسلم يتّبع المذهب المالكي، كان لهم دور في نشر الإسلام عندما أسّسو دولة المرابطين في القرن الخامس هجري، وعندما أسّسوا مدينة "**تمبكتو**" التّاريخية الّتي

1 - من أنت أيّها الملاك ، ص 13.

2 - المصدر نفسه، ص 93.

عدّت من أكبر مراكز الإشعاع الحضاري والدّيني والثّقافي، ومركزًا فريدًا من مراكز التّجارة في المنطقة بأسرها.

كان إسلام "**صنهاجة**" اللّثام الّذي بدأ في عهد "**عقبة بن نافع**" قد اشتدّ وتأكّد في **عهد الأدارسة**، ووضّح الإسلام أهل اللّثام وضوحًا تامًّا في القرن الثالث هجري، على ما ذهب إليه ابن خلدون وقد اتّبعوا مذهب "**الإمام مالك بن أنس**" الّذي شاع في بلاد المغرب منذ القدم.[1]

يستطيع الأشخاص الّذين يفصلهم الدّين، التذرّع بالجنسيّة كقاسم مشترك بينهم، وعكس ذلك فالأشخاص الّذين تفرّقهم الجنسيّة قد يتذرّعون بالدّين المشترك أو باللّغة المشتركة ...، كما أنّه يمكن المطالبة بعدّة هويّات مع وضع ترتيب هرمي لها أو الاكتفاء بذكر المجموعة "البشريّة" الّتي ينبغي للفرد أن يُظهر لها ولائه الأقصى كأن يكون مغربيّا قبل أن يكون مسلمًا، عربيًّا قبل أن يكون مسيحيًّا ... .

وبالعودة إلى نصّ الرّواية يتّضح أنّ الدّين كان من أهمّ المقوّمات والأسس الّتي قد تجعل الآخر يرفض الأنا، ويرفض كلّ ما يتعلّق به ثقافيًّا واجتماعيًّا ولا يعترف بتاريخه أو موروثه، ويتّضح ذلك مثلاً في المقطع السّردي الآتي: « تمتم الرّجل وهو يستلقي إلى الوراء: للصّحراء دينٌ، وللمدن دين آخر، يختلف تمامًا!»[2]

1 – الطوارق والرّجال الزّرق، شذرات من عادات وتقاليد المجتمع الصّحراوي بجنوب المغرب، من موقع أصوات مغاربية www.De maghrebVoices.com، اطلع عليه يوم 21 فيفري 2022.

2 – من أنت أيّها الملاك، ص 34.

وفي موضع آخر ما يعكس علاقة الدّين بالتمثّل الاجتماعيّ والثّقافيّ، يقول ضابط الشّرطة للمواطن "مسّي": « ألا تدري أن الجُرم الوحيد المباح شرعا في هذه الأنحاء هي السّرقة ؟ ! ولكن ثمّت سرقة تختلف عن سرقة ! ألم تتحدّث عن سرقة كنوز الوطن ؟، بلى !، اعلم إذًا أن سرقة هذه الكنوز هي السّرقة الوحيدة الّتي لا يعاقب عليها القانون»،[1] اعتقد "مسّي" أنّ الدّين نفسه الّذي في الصّحراء يتماشى عليه أهل المدينة، و أنّ ما هو جريمة في عُرف الصّحراء كذلك في عُرف المدينة لكنّ تبدّى له العكس تمامًا، فسرقة الحجر كان بمثابة أخطر الجرائم في الدّين الصّحراوي بالمقابل أنّها مباحة واكثر الجرائم محلّلة في المدينة والّتي لا يعاقب عليها القانون فهي مشروعة قانونيًّا ودينيًّا، وهذا ما يعكس تمثّلا ثقافيًّا بدليل أن صورة المدينة وقوانينها الموجودة في ذهن المواطن الصّحراوي "مسّي" كلّها خاطئة والصّحيح أن دينهم مخالف لدينهم ويعاكسه في الأحكام.

1-2-ج- التمثّل الثّقافي والاجتماعي وعلاقته بالذّاكرة في الرّواية:

تحدّث الكاتب "**إبراهيم الكوني**" في روايته عن ذلك الآخر الغريب الرّافض للذّات الصّحراوية هويّةً ودينًا وتاريخًا وذاكرةً ينبغي الحفاظ عليها لأنّها موروث وطني كما أنّ الكاتب قد عبّر عن ضرورة التّعايش بين أهل المدينة وأهل الصّحراء، لأن الذّات الصّحراويّة بحاجة إلى الشّعور بالانتماء إلى الوطن الكبير، كما أنّ الإنسان الصّحراويّ الطّارقي بحاجة إلى اعتراف الآخر المدني بهويّته وذاكرته، ووضّح نصّ الرّواية كيف أنّ أهل المدينة اعتبروا

1 - من أنت أيّها الملاك ، ص 227.

أنّ لهم الحقّ في إحياء الإنسان الصّحراوي أو إماتته من خلال رفض منح "مسّي" وابنه هويّتهما.

لقد عمد الكاتب إلى تصوير حياته في بطل الرّواية الّذي أطلق عليه اسم "مسّي" وبثّ فيه شخصيّته فقد هوى به في جبّ الخفاء والجرأة فعاش مهمّشًا راجيًا رضاها لمنحه شهادة حياته.

نجد هنا أنّ الذّات النّائمة استيقظت على نبرات الفحولة واستمدّت قواها من أنقاضها، فتحويل الواقع والتصدّي لإشعال نار استرجاع الحقوق، وإطفاء نار الحرمان من أبسط مطابع المقاومة الثّقافيّة والاجتماعيّة.

لقد أصبح الحلّ الأخير والوحيد لفرض الذّات الصّحراويّة الطّارقيّة لوجودها أمام رفض الآخر وتهميشه لها، أن تقاوم هذا الرّفض وتجادل الانخراط في المجتمع المدني وإرغام الآخر المدني على الاعتراف بهويّتها حفاظًا على الذّاكرة الصّحراويّة وحاول أن يجعل من لغته وثقافته ومدينته معيارًا يقيس به ثقافة الآخر وأحقّيته في الانتماء إلى الوطن.

إنّ الاقتراب من "**الآخر**" يحتّم حسب نصّ الرّواية تقبّل فكره واعتقاده ومعرفته وصفقاته، هذا الهاجس الّذي ظلّ مخيّما على الرّواية فحملها على رؤية تمثّلات "الأنا" محقّقة في الواقع المدني.

عبّرت هذه الرّواية عن ذات لامست الآخر وخبرته، وخوطبت بلغة لم تألفها وبواقع لم يعشه في صحرائه، لتعرف ذاتها وواقعها، حيث كانت الذّات (الإنسان الصّحراوي) في بلدها

الحاكمة والمغيّرة، وأصبحت المحكوم عليها والمتغيرة حسب الآخر (المدني) فأكسب بذلك الرّواية جرأةً ومغامرةً في مواجهة الذّات الصّحراوية وتحدّيها للآخر (المدني)، الأمر الّذي أدّى بالذّات الصّحراوية إلى العيش في الضّياع في ظلّ انعدام الإنسانيّة.

– موسى هو قرين "مسّي" الّذي كان برفقته دائمًا أثناء الانتظار في دائرة السجلّ.

«فأضاف موسى:

وفي حال اسم خليفتك ترى السّيادة في الاسم ردّة !

ردّة !؟ مشروع ردّة ! سكت "مسّي" طاف وجوده القوم غائبا، سأل: وماذا ترى السّيادة في حال الاسم الّذي اخترته أنت لخليفتك في ظّنك ؟ أجاب موسى بعد لحظة تأمّل: أظنّ أنّ الإسم في حالتي أهون أمرًا تململ في جلسته قبل أن يكمل: تعترض السّيادة على اسم كهذا منعًا للبلبلة ! تعجّب "مسّي": البلبلة !؟ (...) في استعارة أسماء الأغراب في نظر السّيادة، يكمن جنس مستهجن من خلط الأوراق !...»[1]

القضيّة الّذي ارتكز عليها الحوار في الرّواية بأكملها كانت بهدف الحفاظ على الذّاكرة الصّحراويّة وعلى الموروث الطّارقي عبر الأجيال، وذلك عبر استحضار كلّ عادات الأسلاف دون انقطاع والاستعانة بذكرى من قبلهم، ما أكسب هذه العادات والتقاليد هيبة وقيمة لقدمها وطول عمرها لإنجاز تراث خاصّ بهم ابتداءًا من أبسط نقطة فيه وهي قضية "الإسم".

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 62.

2- مظاهر الصّراع الاجتماعي والثقافي بين "الأنا والآخر" بين حريّة الصّحراء وتسلّط المدينة:

معرفة الآخر تشكّل هاجسا ملازما للشّعوب والحضارات ومهما كانت أهداف الآخر فإن الأغراب الذين يمثّلونه قد تركوا أثرا حينما حلّوا طوال تلك الحقبة، وهو أمر عرفته الشّعوب جميعا في حقب مختلفة، ولم يختصّ به العرب دون سواهم.[1]

حاولت النّماذج العربيّة من نصوص أدبيّة وروائيّة أن تجسّد الرّغبة في فهم الآخر، الذي بدا في هيئة العدوّ، وهنا مفهوم "الآخر" لم يعد مقتصرا على "**الغربي**" ، فثمة "**آخر**" تعاشره "**الأنا**" العربيّة، ويشكّل جزءًا أساسيا من نسيجها الاجتماعي فكان تسليط الضّوء على العلامة المتوتّرة بين الذّات والآخر.

2-أ- مفهوم الذّات:

أ- اصطلاحا:

يعدّ مصطلح الذّات مصطلحا مراوغا ويستعصي على الباحث الإلمام بمفهومه وتحديده بدقّة فهو من المفاهيم غير الجاهزة أو النّمطية والّتي تدرك وتتشكّل بسهولة، ذلك أنّ « مفهوم الذّات ليس شيئا موروثا لدى الإنسان وإنّما يتشكّل من خلال التّفاعل مع البيئة الّتي يعيش فيها ابتداءًا من الطّفولة وعبر مراحل النّمو المختلفة كما أنّ الوعي بالذّات يبدأ ضيّقا

1 – محمد داوود وآخرون، الكتابة النّسوية: التلقي الخطاب والتّمثلات، ط ENAG، وهران . الجزائر، 2010، ص 257.

عند بداية حياته، وينمو ويتطوّر بآتساع البيئةّ الّتي يتعامل بها من خلال الخبرات الجزئيّة والمواقف التي يمرّ بها الفرد أثناء محاولة التّكيّف مع البيئة المحيطة به».[1]

2- مفهوم الآخر:

أ- اصطلاحا:

يقتضي مفهوم الآخر إلى «كلّ ما هو نقيض الذّات، أو الأنا وهو يقتضي إقصاء كل ما لا ينتمي إلى نظام فرد أو جماعة أو مؤسسة».[2]

لكلّ مجتمع سماته الثّقافية والاجتماعيّة التي يتميز بها عن غيره لذلك نجد أن "**النقد الثّقافي**" منح أهميّة كبرى لدراسة النّصوص الأدبية بشكل عام والرّوائية منها بشكل خاصّ، دراسة ثقافية قائمة على الانفتاح على السّياق التاريخي، الاجتماعي والثّقافي للمجتمعات.

فمن خلال الحضور المكثّف للأنا والآخر في شتّى العصور والمجتمعات نلحظ حضوره المميّز في النّصوص الرّوائية بمختلف صفاته، (حضور ثقافي، اجتماعي، سياسي أو ديني،...)، وهو ما يستدعي دراسة مسألة التمثّلات الثقافية في النّصوص الرّوائية التي تحتوي على تنوّع واضح في شخوصها بين الأنا والآخر المختلف في الخصائص الثقافية والاجتماعية وحتّى الدينية أحيانا.

1 – قحطان أحمد الطاهر: مفهوم الذّات بين النظرية والتطبيق، دار وائل ، ط1،الأردن، 2004، ص 47.

2 – رياض القرشي: البنيوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في المغرب، دار حضرموت للدراسات والنشر، ط1،اليمن، 2008، ص 8.

وبالرّجوع إلى الرّوايات الجزائريّة نلمس أن معظمها قد جسّد قضيّة الأنا والآخر المتمثلة في الأنا الجزائري ، والأنا الأجنبي، أمّا في روايات "**ابراهيم الكوني**"، فقد تمثّلت الأنا في الإنسان الصّحراوي اللّيبي والآخر في الإنسان المتحضر وأهل المدينة، وهذا ما نلحظه في رواية "**من أنت أيها الملاك؟**" الّتي غيّرت من شدة الخلاف بينهما والفراغ الثّقافي والاجتماعي ومحاولة "الأنا" المتمثّلة في "الإنسان الصّحراوي" تحقيق المساواة بينه وبين الآخر في شتّى المرافق الاجتماعيّة والاحتياجات الضروريّة والحقوق الإنسانية والوطنيّة.

3- العلاقة بين الأنا والآخر:

يتبيّن لنا « أنّ "العلاقة بين الذّات والآخر (الذّات هي أيضا الآخر والآخر هو أيضا الذّات) تكتنفها الالتباسات ما دامت النّوايا مضمرة والإرادات غير محدّدة المعالم، فتتعامل الذات مع ما تصطنعه في خيالها مع الآخر، وليس هذا الآخر كما يبدي في حقيقته الواقعيّة، والتّعارف هو السبيل الوحيد لتبديد المخاوف القائمة في الغالب على الأوهام أو التمثلات الغائبة، لكن أحيانا رغم إرادة التعارف، العلاقة بين الأنا والآخر تبقى علاقة صراع لأن الأمر الجديد ليس هو سلطة الوهم في إرادة الخيالات أو التمثّلات أو الأفعال، ولكن إرادة الهيمنة بإبقاء الغير تحت سلطة الذّات».[1] ومنه نفهم أنّ العلاقة مركّبة ومبهمة بين الذات والآخر أي لا لأحد بدون الآخر.

1 – محمد شوقي الزّين، الذات والآخر (تأمّلات معاصرة في العقل والسياسة والواقع)، منشورات ضفاف، ط1، الرباط، المغرب، 2012، ص 9.

بمعنى أن الذّات ترمي إلى فرض نفسها على الآخر وإبقائه تحت سيطرتها دون اختراق منه لمبادئها وبغضّ النّظر عن نوع العلاقة الّتي تربط بين الذّات بالآخر إلا أنّه يمكن أن لخصرها بين الرّفض والقبول، وليس من باب المبالغة إذا قلنا أن موضوع الذّات والآخر، أضحى إشكاليّة سردية تختلف باختلاف وجهة نظر الرّوائي، قد يبرزها بصورة معقّدة وشائكة، وقد يظهرا بصورة واضحة خاصّة إذا اقترنت بالآخر هو العدو بحدّ ذاته لتصبح الأنا في موقع صدامي صراعي على الدوام معه.

2-ج- مظاهر الصّراع الاجتماعي والثّقافي بين حرّية الصّحراء وتسلّط المدينة:

إنّ اختلاف "**الأنا**" و "**الآخر**" ثقافيًّا واجتماعيًّا ودينيًّا كثيرا ما تسبّب في عدم تقبّل أحدهما للآخر، بل قد تحوّل عدم التّقبل في كثير من الأحيان إلى علاقة صدامية جمعت بينهما، عبّرت عنها النّصوص الرّوائيّة، ووضّحت حجم الصّراع الثّقافي والاجتماعي وحتىّ السّياسي بينهما، وبالعودة إلى رواية "من أنت أيّها الملاك؟" يتّضح هذا الصّراع الثّقافي والاجتماعي جليًّا بين "الأنا" "الذّات الصّحراويّة الطّارقية" و"الآخر" "الممدّن".

وتتّضح ملامح الصّراع الاجتماعي وعدم تقبل الآخر المدني للذّات الصّحراوية في المقطع الآتي:

«الجهل بالشّيء لا يعني عدم وجود الشّيء !

سدّد إليه الرّجل نظرة امتزج فيها الاستنكار بالاحتقار، ثم ركّز على أسنانه قبل أن يتساءل: ماذا تعني؟

أعني الجهل بالاسم لا يعني عدم وجود الاسم !

أعقب "مسّي" العبارة بابتسامة بلهاء، لكنّ صاحب السّجل لا يستجيب، تفحّصه بفضول هذه المرّة، تفحّصه بفضول سرعان ما انقلب دهشة، تناول شهادة المستشفى بكلتا يديه. عاد يقرأ كأنّه لا يصدّق ما يقرأ. لوّح بالقرطاس في الهواء غائبا، ثمّ انكبّ ليحرّر إيصالا باستلام دفعه إلى "مسّي" قبل أن يشير إلى الأريكة الخشبية قائلا: تستطيع أن تنتظر هناك لحظة !

استدار ليوليه ظهره، سار بين صفوف مناضد مغمورة بسجلاّت ضخمة يجلس إليها موظّفون جهمون يختلسون إليه نظرات مريبة تمتزج فيها السّخرية بالاحتقار، بالوعيد الخفي. انتظر في الرّكن طويلا، ولكن موظف السجل لم يظهر»[1]

هنا تبدأ ملامح الرّفض والصّراع الثّقافي والاجتماعي بالظّهور من قبل الآخر "عمال السجل المدني" ويتّضح ذلك في عدم تقبلهم للإسم المقترح من "مسّي" لابنه البكر وهو "يوجرتن" ونرى ذلك من خلال استغراب صاحب السّجل من هذا الاسم بحجة أنه غير متداول ثقافيا واجتماعيا بين أهل المدينة، ولعلّ رمزية هذا الإسم الذي يعني "بطل الأبطال" ومكانته عند الأسلاف وأصله القبائلي ومدى هيبة هذا الإسم عند أسلافه الطّارقيين هو ما أثار حفيظة عمال السّجل المدني الّذين أرسلوا "مسّي" للانتظار ليسأم من طول صبره فيقرّر التخلّي عن هذا الإسم المخالف للعرف المدني والثّقافي في المدينة ويستبدله باسم آخر موافق لقوانين المدينة.

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 14.

عبّرت الرّواية عن تسلّط واضح في فضاء المدينة مقابل حريّة يتمتّع بها الإنسان الصّحراوي تجعله يرفض التّسلّط والسّيطرة، لقد تحدّى "مسّي" هذا التسلّط و أصرّ على اسم "يوجرتن" رغم مماطلة عمّال السّجل المدني الذين أرادوا أن يتنازل "مسّي" عن كبريائه بعد كلّ هذا التأجيل ويختار اسمًا مغايرًا موافقًا لمجتمعهم ضاربين عرض الحائط ما يعنيه هذا الإسم الذي أراد من خلاله "مسّي" الحفاظ على الموروث الثّقافي الصّحراوي، ويتّضح ذلك في المقطع السّردي الآتي:

«خرج يومها أيضا ليعود في صباح اليوم التالي، ولكن موظّف الأمس ما لبث أن كشّر في وجهه بذات الكلمة الّتي لفظها في وجهه بالأمس: غدًا !

استمرّ يرجمه بهذه التّعويذة أيَّامًا قبل أن يتنازل عن كبريائه يومًا ليستبدل بها عبارة أخرى تعمّد أن يضمّنها نبرة قرأ فيها "مسّي" سخرية: الأسبوع القادم ! نفذ صبر المواطن "مسّي" يومها فتجاسر ليستفهم ببراءة الصّعداء الّذين دلّلتهم الأقدار فقضت حوائجهم، ولم تضع مصائرهم مع (حوائجهم)، في قبضة ربّانية أمثال سدنة السجلّ المدني»[1].

وأعقبه دليل آخر عن الرّفض والتسلّط بطريقة غير مباشرة بعد أن عزم على مقابلة رئيس الدائرة، نظرًا للرّفض المتكرّر والمماطلة الّتي لقيها من عمّال السّجل المدني: « موظّف السجل المدني اختفى، قيل إنه غاب في إجازة طويلة، قيل أيضا إنّ قرارًا صدر بحقّه

1 – من أنت أيها الملاك، ص 15، 16.

يقضي بنقله إلى دائرة أخرى من دوائر السّجل المجيد تقع في مكان آخر مجهول العنوان، لعدم وجود علاقة له مباشرة مع الجمهور».[1]

لقد تعرّض المواطن "مسّي" لمختلف أنواع التّهجّم والتّسلّط بعد دخوله تحت سقف بنيان السجل المدني تحت عنوان التّجاهل المتضمّن للسّلوكات المندرجة تحته من سوء المعاملة والسّخرية، الخبث والاستحقار مما أدّى ب"مسّي" إلى شعوره في تلك الوهلة بالضّعف، ليجد نفسه أمام اللّجوء إلى الاستعانة بجرأته ليقوم بمجاهرة الاحتجاج الذي رآه من حقه لكنّه هزم في بلد العمران وأصبح يواجه شبح الانتظار.

«وكانت نتيجة هذه المعاملة أن ملّ، ملّ من التّجاهل كما لم يملّ السّخرية، كما لم يملّ الخبث، كما لم يملّ المكيدة، ملّ فقرّر مرّة أن يضع حدًّا لهذا العدوان، بلى، بلى. التّجاهل جورٌ أقسى من العدوان. التّجاهل حكم جائر بالإعدام لا يستصدره بحق مخلوق بريء لا حول له ولا قوة. حكم الإعدام استصدره بحقّ الرّضيع قبل أن يستصدره في حقّه هو، ولهذا قرّر في لحظة ضعف أن يعلن نفسه، أن يعلن عن وجوده مخلوق اسمه "يوجرتن" قرّر أن يجاهر باحتجاج رآه من حقه فتمرّد»[2]

حمل نصّ الرّواية التّجربة للكاتب "**إبراهيم الكوني**" ورغبته في تسليط الضّوء على مشاكل أهل الصّحراء الذي ينتمي إليها من خلال بطل روايته "مسّي" وابنه "يوجرتن" الّذي أراد بواسطة هذا الابن أن يجعله بطل الصّحراء بعد تحقيقه للهدف الّذي يضحّي من أجله

1 – من أنت أيها الملاك، ص 19.

2 – المصدر نفسه، ص 20.

وبهذا يكون الابن الملاك بطل الأبطال باسم على مسمّى بإنقاذه لأهل الصّحراء من التّهميش الّذي يعانيه، لكن في الأخير كل جهوده ذهبت هباءًا منثورًا من أوّل نقطة انطلق بها وهي الكنية المعتمد عليها لتنفيذ هدفه الذي أسند إليه رحلته هذه، ويظهر بصريح العبارة عدم التّقبل لذلك من أصحاب السجل المدني زعمًا منهم في التّخلص من هذا الإصرار مواصلة التّحدي بين إثبات أو إقامة الهويّة الصّحراوية الطّارقية وفرض الواقع المتحضّر لاستبداله بما يرضي ويماثل عاداتهم وقوانينهم، معتقدين أن اسم "يوجرتن" اسم معيب ولا يتماشى وعرفهم، وهذا ما يتماشى مع قوله "**إبراهيم الكوني**":

«تطلّع إليه الرّجل ببسمة غامضة قبل أن يجيب:

– الاعتراف على الاسم !

– تبادلا نظرة طويلة، قال "مسّي":

هذا يعني أن انتظارك سيطول !

عاد الرجل ليبتسم في وجهه بمرح خفيّ قبل أن يتساءل:

هل انتظرت طويلاً ؟ تأمّله "مسّي" طويلاً، قال أخيراً:

انتظرت طويلاً جدًّا !

طأطأ بحزن قبل أن يضيف: انتظرت زمنًا شبّ فيه الرضيع ولم يعد طفلاً !

اكتأب الرجل قليلا، ولكن سيماء المرح عادت تغزو ملامح الوجه، سأل:

هل اعتراض على الاسم أيضا ؟ تمتم "مسي" بل مصادرة للاسم !

انتصب بينهما صمت، تساءل موسي هل هو اسم معيب ؟

تعجب "مسّي": اسم معيب ؟

يقال إنّهم يعترضون على كل اسم معيب! » [1].

كما نجد أهل المدينة لم يتقبّلوا الآخر (الذّات الصّحروايّة) لكونها مختلفة عنهم بالرّغم من أنّهم عرب ويتشاركون وطنًا واحدًا (ليبيا)، فهناك رفض من الآخر لأنّهم ليسوا من الأصول نفسها، ضف إلى ذلك فإنّ المدينة حرمت أهل الصّحراء من حرّيتهم بفرض سلطتها عليها وقيادتهم بوجوب الالتزام بقوانينها واتّباعها، فقد قاموا باستغلال "مسّي" وابنه كدليل يعرف خبايا الصّحراء ومواطنها جيّدًا مقابل منحهما الحرّية الكاملة في المدينة.

« بالعمل كدليل صحراويّ لشركتنا أنت لن تكسب الحرّية لولدك وحسب، ولكنّك ستضمن الحرّية لنفسك أيضا، ليس هذا فقط ولكنّك ستضمن لقمة العيش لك ولولدك بهذا العمل». [2]

2- بين حريّة الصّحراء وتسلّط المدينة:

إنّ رواية "**إبراهيم الكوني**" "من أنت أيّها الملاك؟" عيّنة من الرّواية العربيّة، فهي جزء من كلّ، ورغم اهتمامه بالرّواية الصّحراويّة، إلاّ أن ذلك لم يمنعه من أن يطرح مختلف المواضيع التي تعالج شتّى إشكالات الحياة اليوميّة والاجتماعية والثّقافيّة لأفراد المحيط الطارقي القبائلي وما يحكمه من عادات وتقاليد، وكلّ ما ورث عن السّلف، إذ لم يغفل الرّائي

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 39.

2 – المصدر نفسه ،ص 135 .

"**إبراهيم الكوني**" عن حاجة الإنسان الصّحراوي إلى اكتساب حرّيته والحفاظ عليها، هذه الدّلالات، والقضايا ضمّنها في روايته من خلال قصّة البطل "مسي" وابنه "يوجرتن" الملاك الذي وسم برسول الحرّية للشّعب الأصيل.

« صرّح "مسّي" دون الاكتراث إلى العواقب كالتّالي: الأنبياء رسل حريّة، ويوجرتن كان رسول حرّية ! حدّق الرّجل بوجهه طويلاً قبل أن يقول: يؤسفني ألاّ أتمكن من إقناعك بسحب هذا التصريح! »[1]

يعتبر "مسّي" ابنه "يوجرتن" وقضيّته تسميته قضيّة عامة تخصّ حقّ أهل الصّحراء في الانخراط في أكناه المدينة والمطالبة بحقوقهم دون التّخلي عن موروثهم، ودعوة أهل المدينة للالتفات إليهم وإلى عدم فرض سلطتهم باعتبارهم الجانب المتطوّر والمتقدّم منهم، ونسوا أنّه لولا خيرات وثروات الصّحراء، لما توصلت المدينة إلى التّحضّر والتقدّم الذي هم فيه لكن دون الاعتراف بالجميل بل ونكرانه إضافة إلى حرمانهم من حريتهم بالانتماء إلى مكان كان لهم الفضل في إنشائه وتطوّره.

« المشكلة لا تكمن في أيّ إ سم، ولكنّها تكمن في هذا الجنس من الأسماء !

استفهم "مسي" إيماءًا، فأضاف الرجل:

– لأنّ لجنة الأسماء التي أتولى أمرها، ليست الدّائرة الوحيدة المخولة للبتّ في مثل هذه الأسماء!

طأطأ "مسّي" تمتم بتسليم: أفهم...

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 93.

ولكنّه ما لبث أن استبدل بالتسليم عنادًا مفاجئًا:

ولكن ابني مازال محروما من الانخراط في التعليم، مضطهدًا بين أقرانه بسبب فقدان الاسم، مهددًا بالسّجن من قبل قوى الأمن بسبب الحرمان من هويّة إثبات الشّخصيّة يحدث كل هذا بسبب غياب الإسم ! أدرك عتبة حرجة في العمر من دون أن يحيا، لا لشيء إلاّ لأن أهل العمران يعترفون بهويّة بائسة مدوّنة على قرطاس تافه، وينكرون إنسانا من لحم ودم يدبُّ أمامهم على قدمين، عكس أهل الصّحراء تمامًا ![1] »

يصف لنا "**إبراهيم الكوني**" في هذا المقطع معاناة المواطن الصّحراوي "مسّي" وابنه لغياب هويّة الابن لعدم منحه الاسم، فقد رفض من التّسجيل في التعليم طلبا لحضور الهويّة لإثبات مواطنته « فالهويّة تمثّل ملاذًا للفرد و صمّام أمان لوجود الشّخص»[2] وكأنّه جاء للمدينة ليجد حلولا لما هو محروم منه في الصّحراء ومحاولة منه من رفع مستوى ابنه بالتّعليم إلاّ أنه وجد نفسه زاد الأمر تعقيدًا وغرق أكثر في المشاكل اللاّمتناهية واشتبك فقط مع قضيّة "الاسم" التي كلفته ما لم يكن في الحسبان، وأخذت منه عمرًا إلى أن كبُر الملاك محروم من الهويّة ومن "الاسم" الّذي هو من أبسط حقوق الإنسان في الحياة لإثبات مكانته في المجتمع لا لشيء إلاّ لأن أهل العمران والمدينة يعترفون بالوثائق أكثر من الإنسان ذاته بل وينكرونه تماما عكس أهل الصّحراء، فمبدؤهم "الثقة في الوثيقة" ولا نقاش في ذلك.

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 83.

2 – صلاح السروي، المثاقفة وسؤال الهوية ، ص 93.

ما يوحي إلى أنّ سلطة المدينة فرضت نفسها على المواطن الطّارقي الممثّل للوطن الصّحراوي بأكمله، وذلك بنجاحها في تسلّطها على هذا الشّعب المهمّش بسلب حريّته ومنعه من الانتساب تحت هويّة وطنه، الأمر الذي أبقى "مسّي" متشبّثا بإثبات ذاته لتشريف شعبه والوقوف في وجه السلطة وذلك واضح من خلال وضعهم لقائمة الأسماء المفروضة والمسموح بها وعدم الخروج عنها تحت شعار فرض حكم سلطة المدينة على غيرها من الشّعوب المنتمون إليها أمثال "مسّي" الّذي راح ضحيّة مكيدة نصبتها سلطة المدينة للأغيار « لم أكن لأنقل لك خبرًا كهذا لولا يقضتي بأن ما حدث كان مكيدة مدبّرة لا ضدّ الصّحراء وحدها، ولكن ضدّ الوطن أيضا»[1].

فالمفهوم المتداول عندهم هو أنّ السّلطة هي الحياة، أي بها تحيا و بها تموت حيًّا، ففقدان الاسم بمرتبة واحدة مع فقدان الحياة وعدم استفادته من أيٍّ من حقوقه، مما دفع "بمسّي" إلى الاعتقاد بأنّ سلطة المدينة خليفة لسلطة الرّبّ في الأرض بهذا القدر القاطع للأمل بتحقيق هدف استرجاع هويّته وجلب هويّة ابنه المعدومة من أصلها والتي كلفته حياته.

يقول "مسّي" بعد توضيح الرّجل الّذي قابله عند دخوله لمقرّ السجلّ بالمشكل الأكبر الذي يواجهه الإنسان المتمثّل في وقوعه معلّقًا بين قنطرتي الحياة والموت فلا هو بهذه ولا هو بتلك « أنصت "مسّي" غائبًا، نتساءل بوجع:

ولكن بأيّ حقّ تحجب الأسماء عن هؤلاء الأشقياء ؟

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 219.

الصّراع على السّلطة ! أجاب الرّجل عن سؤاله على الفور ليضيف:

السلطة هي الحياة كما تعلم !

تأمّل "مسّي" جواب الرجل لحضات قبل أن يتساءل: إذا كانت السلطة ملككم، فما الحاجة إلى الصّراع ؟

لو كانت السّلطة ملكنا لعدمنا الحاجة إلى الصّراع حقًّا، ولعدمنا، مع هذا العدم سبب وجودنا أيضا!

– ظننت أن السلطة على هذه الأرض ملككم وحدكم !

ابتسم الرجل باستخفاف، التفت إليه ليقول بلهجة تفضح خيبة أمل:

– لو كانت السّلطة ملكيتنا حقا لاختلف الأمر، ولكن أهل السلطان وحدهم يعلمون يقينا أنهم لا يملكون السلطة !

تساءل "مسّي" ببلاهة وهو يلوّح بيديه في الهواء حائرًا:

– من يمتلك السلطة إذا ؟

أجاب الرجل وهو يلتفت إلى لوحة الجدار: لا أحد ! لا أحد ! لا أحد هنا يجب أن يعني معنى واحدًا هو: الربّ !

الربّ ؟

.....

وتواصل الحوار حول هذا، ليدفع "مسّي" أخيرًا بحجة قوية:

« لو كان الرب يتدخل بسلطان في شؤون الأرض، ما تجاسر الإنسان أن يحجب اسمًا عن أخيه الإنسان![1] » .

« فالسرّ ليس في طلب الإسم، وإنما في الاسم نفسه، فأيّ اسم يطلق على وليّ عهد مواطن ينتمي إلى هذه الأرض اتّباعا لموروث سلف كان فخرًا لتلك الأرض مما تمنح أهلها بالتّباهي بذلك، فكلٌّ من "الأنا الصّحراوي" و"الآخر" المتحضّر يروم وراء دافع الوفاء لوصايا مدينته وتابعيه، لفرض سلطته على الآخر لكن ليس من حق "مسّي" أن يغير قوانين مدينة هو فيها مجرّد ضيف، غير الخضوع لمبادئه أو الانسحاب بالرّاية البيضاء تمامًا.

يعود ليقول: « الحقّ أننا لا نفعل ذلك إكراما لكم وحسب، ولكنّنا نفعل ذلك إكبارًا للسّلطة !

تمتم "مسّي" : السّلطة ...

قاطعه الرّجل بحزم

لا نفعل ما نفعل بهدف الاستيلاء على السّلطة، أو الاستئثار بها، كما يعتقد الكثيرون في هذه الديار ولكننا نفعل ما يجب أن يُفعل لنتقاسم السّلطة فحسب!تتقاسم السلطة مع من؟

نتقاسم السّلطة مع صاحب السلطة بالطّبع .نتقاسم السلطة مع الرّب!.»

بناءًا على ما سبق نخلص إلى أنّ حريّة الإنسان تكمن في وطنه وبالتّالي فحريّة "مسّي" تكمن في صحرائه فبانزياحه عن وطنه الأصل بضع كيلومترات فقط فقد حريته وأصبح خاضعا لتسلّط الآخر (أهل المدينة) رغم اشتراك كليهما في وطن واحد واختلافه في

1 – من أنت أيها الملاك، ص 73، 74.

المناطق فقط، إلاّ أن المنطق يوضّح عكس ذلك بالنسبة "لمسّي" وأهل المدينة، فابن الصحراء يتمتع بحرية مطلقة لا تحكمها أيّة قيود ولا قوائم للأسماء مثلا، أمّا المدينة فتفرض على أهلها الالتزام بما هو صادر عن السّلطات العليا، فالأب "مسّي" يوضح لابنه هذه الفكرة ليغريه أو يبرّر له حجّته في الرجوع إلى الصّحراء وإلا الخضوع لقواعدهم ممّا يسلب منه حريته، فإمّا أن يعيش حرًّا طليقًا في الصّحراء، أو مقيّدًا في المدينة المزيّنة بزيّ التّحضّر والتقدّم مقارنة بالصّحراء في عين الابن "يوجرتن".

الفصل الثّاني:

إشكاليّة الهويّة والانتماء في رواية

"من أنت أيّها الملاك"

المبحث الأول: إشكاليّة الهويّة الشّخصيّة لبطل الرّواية.

المبحث الثّاني: مظاهر ضياع هويّة البطل و اللاّ انتماء في فضاءات الرّواية.

المبحث الأوّل:

إشكاليّة الهويّة الشّخصيّة لبطل الرّواية.

1 الهويّة الشّخصية.

2 مشكلة الهويّة الشّخصيّة

3 إشكاليّة الهويّة الشّخصية في رواية "من أنت أيّها الملاك"

تتداخل مع مفهوم الهويّة مصطلحات أخرى أبرزها الهويّة الفرديّة أو الشّخصيّة والهويّة الجماعيّة، والأولى هي الّتي تؤسّس للثّانية، وهي مفاهيم لها علاقة بالهويّة، وسنسعى لتوضيحها في هذا الفصل من خلال تحليلنا لشخصيّة البطل وأهمّ مظاهر صراعه مع الآخر من أجل الحفاظ على هويّته الصّحروايّة من الضّياع في فضاءات المدينة.

وإذا تأمّلنا مدلول الهويّة الفرديّة أو الذّاتية نجد أنّ هذا المصطلح غالبا ما يستعمل للدّلالة على الهويّة الشخصيّة والّتي تعني في الواقع شعور الفرد بفردانيّته أي أنّه هو نفسه وليس غيره، ويبلغ هذا الشّعور ذروته في مرحلة المراهقة ويبقى على ما هو عليه في الزّمان، ويشعر بوجوده المختلف عن غيره وبهذا الاختلاف بالذّات هو الّذي يعرّفه بنفسه وهو يتحرّك ضمن ثقافته الكليّة، وثقافته الفرعيّة.

1- الهويّة الشّخصيّة:

تشكّل الكائنات البشريّة عبر مراحل حياتها المختلفة مؤثّرات لا حصر لها، مقصودة أو غير مقصودة، فهناك أشياء عديدة يتمّ من خلالها صياغة وتشكيل الأفراد، مثل الأسرة، والمدرسة والثّقافة والطّبقة والدّين والمجتمع « هؤلاء الأفراد أيضا معرضون لتأثير خبراتهم وتجاربهم الشخصيّة، ولقاءاتهم الرّسميّة مع الآخرين وما يتسامعون به بالصّدفة وما يشاهدونه من أحداث، ويقرؤونه من كتب ويشاهدونه من أفلام، وجميع هذه الأمور تؤثّر تأثيرا عميقا عليهم وتشكّل هويّتهم».[1]

مع تقدّم الأفراد في السّن يسعون إلى فهم أنفسهم وإعطائها معنى، أنهم يفكّرون في معتقداتهم وقيمهم واتّجاهاتهم في الحياة وصفات شخصيّاتهم، فيوافقون على بعضها وينكرون بعضها الآخر ومن الجائز أن يجدوا أنفسهم يحملون أنواعا من التحيّز غير منطقيّة أو أن بعض قيمهم ومعتقداتهم عن العالم مضللة، ومن ثم يضعون أنفسهم في مهمّة التّغلب على هذه الأمور،إنّ المعتقدات و القيم الّتي يعرفون أو يحددون بها أنفسهم كشخص معيّن، تشكّل هويّتهم الشّخصية، وتوضّح مفهومهم لأنفسهم أو توجّههم الأساسي، وتقدّم إطارا يرون من خلالهم أنفسهم والعالم.[2]

1- بيكو باريك، سياسة جديدة للهوية والمبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل،ص31.

2 - المرجع نفسه ،ص 31.

وإذا أردنا أن نوسّع مفهوم المصطلح ونستخدم تعبيرا متناقضا لنا أن نقول إن هويّتهم الشّخصية هي أنه ليست لهم هويّة شخصيّة، الهوية الشّخصية ليست شيئا نمتلكه، وبمجرد أن يتحقّق نستطيع أن نعتزّ به ونحافظ على استقراره.

إنّ الهويّة الشخصيّة تعبّر عن نفسها وتحتفظ بحيويّتها فحسب بقدر ما يتمّ استخدامها وتأكيدها في اختيارات وأفعال مناسبة تتضمّن الهويّة إذا مبدأ الاختيار، بمعنى أننا نتداول ونقرر ما إذا كنّا نعرف أنفسنا أو نسعى إلى أن نصبح، هذا النّوع من الشّخص أو ذاك.[1]

تلعب الهويّة الشّخصيّة دورًا لا غنى عنه في الحياة البشريّة فهي بوصلة عقلية وأخلاقيّة توجه اختيارات الفرد وأفعاله وتجعلها متماسكة ومتناغمة وهي تمكن الفرد من أن يخطّط ويبني حياته وهنا نطرح التّساؤل التالي: هل يبقى الإنسان على ما هو عليه منذ الولادة وحتى الممات، أم أنّ تشكيل هويّة الإنسان قابلة للتّغيير والتّعديل ليبقى ما هو ثابت في الإنسان خلال تلك الفترة هو اسمه فحسب ؟، وربما تواجه الهويّة الإنسانيّة أسئلتنا الفلسفيّة عن كينونتنا، من نحن بالفعل ؟ وربما يكون هذا السؤال هو أحد أبرز الأسئلة الّتي اجتهد الفلاسفة في الإجابة عنه من وجهات نظر مختلفة، فما هي الهويّة الإنسانيّة بالفعل ؟

1 – بيكو باريك، سياسة جديدة للهويّة و المبادئ السّياسية لعالم يتّسم بالاعتماد المتبادل، ص 33.

إنّ الهوّية الإنسانيّة ببساطة وبشكل عام هي علاقة تعريف الأشياء من خلال "النّفس"، أي ما يميّز الشّيء ويجعله فريدًا في كينونته، إلاّ أن الأمر ليس بتلك البديهيّة، ذلك لأنّ الأشياء تتغير ولا تبقى على حالها، ولأنّها عندما تتغيّر بالفعل، تتحوّل إلى شيء مختلف تماما عما كانت عنه من قبل.

يرى "**غوتفريد**" أنّه لا يمكن أن يكون هناك شيئان أو كيانان منفصلان عن بعضهما البعض ويشتركان بجميع الخصائص.[1]

مما سبق نستنتج أنّ الهويّة الشّخصيّة تشير إلى كيفيّة سلوك الفرد في مواقف معيّنة وما الذي يحبّه أو يكرهه، وأن الفرد يتعرف على ذاته بأسلوب معين، إذا فالهويّة هي المعيار الأفضل في تقويم الشّخصية والذّات البشريّة.

يتبلور مفهوم **الهويّة** عند "**جون لوك**" انطلاقا من عنصرين أساسيّين، بداية بالوعي المصاحب للأفعال، بمعنى أنّه لا يمكن أن نتحدّث عن هويّة الشّخص في غياب وعيه وذاته وبنفسه وأفعاله، فالوعي أساس من أسس تشكّل الهويّة الشّخصيّة بالنّسبة " **لجون لوك**" بالإضافة إلى العنصر الآخر والمتمثّل في الذّاكرة، هذه الأخيرة التي تسير جنبًا إلى

1 – أميرة جمال، الهوية الشخصيّة، من نحن وكيف يرانا الفلاسفة ؟، من موقع https.//www.noorpost.com، نشر بتاريخ 2017/02/10، اطلّع عليه يوم 2022/03/7.

جنب الوعي، بحيث يتمكّن الشّخص بواسطة ذاكرته بالشّكل الذي تنتج تلك الاستمراريّة كما عبّر عنها "**جون لوك**".[1]

إذًا فالوعي خاصيّة ملازمة لكل فعل يقوم به الذّهن، إذ يقوم على إدراك الإنسان لما يجري في ذهنه الخاصّ به.

أمّا "**جون لاشولي**" فحاول أن يطرق الموضوع من زاوية أخرى وإن لم يبتعد كثيرا عمّا طرحه "**جون لوك**" يرى "**جون لاشولي**" "أنّ الّذي يولّد لدى الفرد إحساسًا بأن له هوية، أو ذاتًا متميّزة قابل للاختزال في عاملين، استمرار نفس الطّبع، وترابط الذّكريات هكذا يعتقد الشّخص أنّ سلوكياته يحكمها خيط ناظم، وأنّ ما هو عليه اليوم مكمّل لما كان عليه في الماضي، ومن ثمّ تبدو انطباعاتنا النّفسيّة اليوم تداعيات لحالات ماضية، من هذا المنطلق."[2]

ممّا سبق نستخلص أنّ "**جون لاشولي**"، يرفض أن تتحدّد هوية الشّخص في شيء قبلي متأصّل في الوعي، لأنّ الهويّة ليست إلا عبارة عن ذكريات تتداعى ويستدعي بعضها بعضًا ودوام نفس الطّبع وترابط هذه الذّكريات.

إنّ إحساس الإنسان باستمراريّة نفس الطّبع بمعنى تواصل نفس السّلوكيّات ونفس ردود الفعل بنفس الكيفيّات يعدّ مبدأ آخر من المبادئ الّتي أشار إليها "**لاشولي**"

1- محمد منادي إدريس، سؤال الهوية عند جون لوك "من الجدال اللاّهوتي إلى النقاش العلمي"، دراسات وأبحاث، كلية ظهر المهراز فاس، مجلة تباين، ع 34، المغرب، 2020، ص 159، 160.

2- جون لاشولي، تحليل نص جون لاشولي، أساس هوية الشخص طبعه وذاكرته، تر: فريق التأليف، من موقع www. 9alami.com، اطلع عليه يوم: 22- 03- 2022.

بخصوص هويّة الشّخص، والتي تحيلنا بشكل أو بآخر إلى قضيّة الوعي الّتي أشار إليها "**لوك**" والّتي من دونها لا نتصوّر أنّ الإنسان يمكن أن يستوعب طبيعة سلوكه وطبعه إن كان يتّسم بالاستمراريّة أو تحول عما كان عليه، وبذلك فالشّخص بالنّسبة " **لشولي**" لا يمكن أن يشعر بهويّته الشّخصيّة دون أن يلمس هذه الاستمراريّة في طبعه وسلوكيّاته وكذا إحساسه بترابط ذكرياته.[1]

2- مشكلة الهويّة الشخصيّة:

لا توجد مشكلة واحدة متعلّقة بالهوية الشخصيّة، بل مجموعة واسعة من الأسئلة ضعيفة التّرابط فيما بينها في أحسن الأحوال، ونقاشات قليلة تندرج تحت هذا السّياق وأكثرها شيوعًا، من أنا ؟ هو السّؤال الذي يحدّد الهويّة الشخصيّة لشخص ما.

بعيدًا عن الفلسفة، تشير الهويّة الشخصيّة عادة إلى الخصال التي نشعر حيالها بإحساس خاص من التعلّق أو التملّك، فالهويّة الشخصيّة لشخص ما تتكوّن ضمن هذا المعنى، فان تصاب بـ "**أزمة هوية**" هو أن تفقد إيمانك بأكثر خصال المرء تفرّدا وتميّزًا، وتتناقض الهويّة الشخصيّة مع الهويّة القومّية والعرقية والّتي تتشكّل عادة من الجماعة أو الأمّة التي ينتمي إليها المرء نفسه ومقدار الأهميّة التي يوليها المرء لذلك الانتماء.

إنّ التّوصّل لمعيار استمراريّة هويّة الفرد عادة تقوم على معايير واضحة المعالم يمكن استخدامها في التّحقّق من مكانة هويّة المرء و من ثمّ إمكانيّة استخدامها في الحياة

1- مولاي أحمد بن نكاع، ملامح الهويّة في السّينما الجزائرية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص الفنون الدرامية، كلية الأدب واللغات والفنون، جامعة وهران-الجزائر، 2012/ 2013، ص 34، 35، 36.

الواقعيّة وأبرز هذه المعايير الاستمراريّة الجسميّة والنفسّية التي تستعمل الدّماغ كمعيار للاستمراريّة، بالإضافة إلى معاير الذّاكرة للاستمراريّة.[1]

ومن العناصر الأكثر أهميّة وضرورة للهوية الاستمراريّة الجسميّة، فمن خلال وصف حدود التغيّرات الفيزيقيّة المقبولة، فإنّ معيار الجسم وحده غير كافٍ لاستمراريّة هويّة المرء، أمّا حسب رأي الفلاسفة الماديّين ادّعوا الجسم هو مصدر الهويّة طالما يبقى الفرد بالجسم نفسه خلال حياته فهو سيضمن المحافظة على هويته المتميّزة.[2]

وبالنّقيض إلى ذلك هناك الكثير من الانتقادات الرّافضة لمعيار الجسم كمقوّم للهويّة، وهذا الموقف مضادّ لمعظم الأديان الّتي ترى أنّ أرواحنا غير الماديّة هي جوهريّة لهوّياتنا، فهذا التّصوّر للرّوح يميل ليكون مشابه لذلك الخاصّ بالوعي، وبما أنّ جسمنا قابل للتّغيير فإنّ هذا يُحدثُ جدلاً ومشكلةً حول تحديد هويّة الشّخص.

3- إشكاليّة الهويّة الشخصيّة في رواية "من أنت أيّها الملاك؟":

تتّضح إشكالية الهويّة الشخصيّة بشكل جليّ في نصّ رواية "من أنت أيّها الملاك؟" من خلال شخصيّة البطل "مسيّ" وابنه "يوجرتن" الّذي أضحى يطرح على نفسه أسئلة تتمحور إجابتها حول هذه الإشكاليّة ومنها نذكر من أنا ؟ هل شخصيّتي لا تكفي لتكوين هويّة خاصّة بي؟ ما سبب وجودي وما فائدته دون هويّة؟ كلّها تساؤلات تركت الابن

1- حاتم حميد محسن، الزّمن والهويّة، مشكلة الهوية الشخصيّة، شبكة النبأ المعلوماتية، من موقع UK essays/ فلسفة، أرخ ب: 30 ديسمبر 2020، اطلع عليه يوم: 07 مارس 2022.

2- المرجع نفسه.

الملاك في حيرة من أمره دون أي ذنب له في كّل هذا، وبما أنّ هويّة الشّخص، كما ذكرنا سابقا تتكون معه ومع تغيّراته وإحساسه الخاصّ بالتعلّق أو التّملّك، فإن "يوجرتن" الذي ولد في الحقيقة في "المدينة"وكبر في حضنها، دون أن تتحدّد، فباعتبار أنّ هويّته الشّخصيّة لا وجود لها بالنّسبة لسكّان المدينة نظرا لعدم تسجيله قانونيّا وهو بذلك كان ضحيّة تعلّقه بهذا الفضاء بأمكنته المختلفة (المدينة) فقد أنشأ مع هذه الفضاءات والأمكنة وامتلك رابطًا روحيًّا لا يمكنّه التّخلّي عنه كما أنّه بحاجة إلى الشّعور بالانتماء إلى مكان ما، وهو يرى في المدينة مكانه الّذي ولد فيه وترعرع فيه ذلك الرّابط الوطني والحنين للبلد الذي ولد فيه، أمّا والده مسّي فكان لا يراعي هذا الجانب الشّعوري لابنه لدرجة تفكيره بمصلحته أكثر، ولا يلام على ذلك الجانب الشّعوري لابنه لدرجة تفكيره بمصلحته أكثر، ولا يُلام على ذلك ففي النّهاية هو أب، والسّعي وراء مصلحة الأبناء أكثر من الالتفاف غلى رغباتهم وميولاتهم يبقى من مهمّة الآباء بصفة عامّة.

"مسّي" يأخذه عرقه ودمه إلى الصّحراء التي ولد فيها وكبر على تراثها وعاداتها وتقاليدها، و"يوجرتن" يستهويه حنينه ورابطه الرّوحي إلى مكان ولادته "المدينة"، نلاحظ هنا اختلاف جذريّ في الاعتقاد والتّفكير. وحاول الانتصار لهويّته وانتمائه الصّحراوي ويريد لابنه أن يحافظ على هذه الهويّة وهذا الانتماء أمّا ابنه فيريد الانتماء إلى المدينة الّتي ولد فيها فقد فتح عينه في المدينة التي تجذب كلّ الأطفال لمرافقها، كلّ ما يبحثون عليه لتسليتهم، فهذا ما منعه من الرّجوع مع أبيه إلى الصّحراء، وهنا واجه "مسّي" صراع

بين وطنيين مختلفين بينه وبين ابنه، إلى جانب الصّراع الحقيقي الذّي كان يخوضه بين "المدينة والصّحراء"، فهو الآن يحارب جهتين، أهل المدينة وابنه الذّي أعلن انتماءه إليها من جهة و مسقط رأسه الصّحراء من جهة أخرى، وهنا تضيع فرصة تغيير الاسم.

إنّ إصرار "مسّي" على عدم التّنازل عن مبادئه كلّفه خسارة ابنه ومحاربة جهتين في الخصم نفسه، وفي هذا تأكيد قويّ لرأي الفلاسفة الذّين يؤيّدون فكرة أنّ هويّة الشّخص تتشكّل من تجاربه الشخصيّة ولقاءاته مع الآخرين وممّا يتسامعونه بالصّدفة، وما يشاهدون من أحداث، فجميع هذه الأمور لها تأثير عليهم وعلى تشكيل هويّتهم.

ويتّضح الفراغ بين الأب والابن في مسألة أحقيّته ورغبة الابن في الانتماء إلى المدينة التي ولد فيها وفي رغبة الأب في الحفاظ على الهويّة الصّحراوية التي توارثها عبر أجيال، ويتّضح ذلك في المقطع السّردي الآتي:

«لا مفرّ من العودة إلى الصّحراء إذا شئنا أن نستعيد الهويّة الّتي لا تحتاج إلى شهادة مدوّنة في قرطاس، ولا حتّى إلى اسم مفترض مسبّقا ليكون في العنق وسمًا، وربّما بصمة من بصمات العار، وقفا في مواجهة مزمومة. كان الأب يرتجف انفعالاً، تومض مقلتاه تحت ضوء النّجوم ببريق منكر. دامت وقفتها طويلا قبل أن يتنازل الابن ليجيب الأب:

أن أحيا في المدينة باسم مفترض أهون عندي من أن أحيا في هذا العدم باسم مكتسب»[1]

لقد رأى "مسّي" في إثبات الهويّة الصّحراويّة لابنه من خلال اسم "يوجرتن" مطلبا وهدفا لا يمكنه التنازل عنه، ونسى أنّ ابنه هو إرثه الحقيقي وغنيمته الكبرى «كان يرى في الوريث غنيمة مفروغًا منها، وذهب ليهب وقته النفيس في طلب هويّة رآها في الغنيمة المنشودة رآها الغنيمة الأكثر أهميّة، رآها الغنيمة الغاية، ونسي أنّ الوليد هو الغاية وما الهويّة سوى وسيلة لإشباع هذه الغاية».[2]

إنّ مسّي يعود بذاكرته لأصله ودمه يسترجع ذكريات الأسلاف القدماء الذين صنعوا التّاريخ ممّا يذكره لما رسموه وخلّفوه من صفات ومعالم القوّة والشّهامة والوفاء لعرفهم وتراثهم، هذه الصّفات الّتي ما لبثت أن خلّدتهم على ألسن الأجيال «ما أعلمه أيضًا أن القوانين لم تحرّم يومًا أن يطلق مواطن اسم على مولود تيمّنا بأبٍ أو جدٍّ أحد الأسلاف ! – باستثناء الأسماء المشبوهة المنصوص عليها في اللاّئحة المذكور التّي لا تصدر إلاّ لتصحيح ضيق أفق القوانين المعمول بها سلفًا»[3]

فدافعُ الرّغبة ليصير من هؤلاء بات من أولى أولويّات الأب "مسّي" حتى قبل مصلحة ابنه الضّائع بلا هويّة تؤكد وجوده في الدّنيا، فحقّ المواطن البسيط صار حلمًا

1- من أنت أيها الملاك، ص 153.

2 - المصدر نفسه، ص 156.

3- المصدر نفسه ، ص 82.

بالنّسبة له، كل ذلك بسبب شغف والده بالصحراء موطنه الأصلي وإرادته والمحافظة على تراث أسلافه، وذاكرتهم وهويتهم وكل ما تحمله من عادات وتقاليد ومعايير تقليديّة رسميّة موروثة عنهم، إذ وفق ما يراه مسّي وتخليه عن هويته الصحراوية يعتبر خيانة لوطنه الصّحراء، وعليه فإنّ هويّة البطل "مسّي" وابنه مرتبطة بالذاكرة مثلما هي مرتبطة بالمكتسبات السّلوكية من المحيط الجديد الذي يعيش فيها الابن.

ويجب الإشارة هنا إلى قاسم مشترك هامّ يربط آراء الفلاسفة حول تكوين الهويّة الشخصيّة لاحظناه في نص الرواية وهو أنّ أهل الصّحراء لا يسمّون أبناءهم منذ الولادة كما هو عند أهل المدينة، بل حتّى يبلغ الطفل عمر 18 سنة يعني سنّ البلوغ، يقومون باختيار اسم مناسب لصفات هذا الطّفل وحسب ما يتحلّى به من سلوكات وتصرّفات تدّل عليه وتميّزه عن غيره حتّى يكون اسما على مسمّى، يتم اختيار الاسم بحكمة ليكون الشّخص صانعًا لهويّته بنفسه والمسؤول الوحيد عن تكوينها.

مسّي « شهادة الميلاد لا تعني ميلادًا ثانيا في عرفي أنا، ولكنّها تعني ذلك في عرفكم أنتم ! عاد الرّجل يستنكره في عرفنا نحن ؟ بالطّبع في عرفكم أنتم ! أليس عرفكم هو الّذي حرّم الاعتراف بالمخلوق البشري الذي لا يحمل اسمًا ؟»[1]

«بلى هذه رسالة إنّ الشّقوة تبدأ بشهادة الميلاد، ولكنّ الخلاص في شهادة الوفاة».[2]

1- من أنت أيّها الملاك، ص 21.

2- المصدر نفسه، ص 29.

يتحدّث نصّ الرواية عن وصايا الأسلاف من خلال حديث (مسّي) البطل مع ابنه (يوجرتن) عن الحجر المقدّس الذي تحتفظ به الصّحراء ويعدّ كنزًا من كنوزها «هناك أمام حصن مشيدّ من الصّلد، ينتصب ملتفا حول الجلمود السّريّ كأنّه سور، أو تميمة شيّدتها الطبيعة الصّحراويّة الحكيمة لتحمي روحها التي تسكن ذلك الحجر الخرافيّ الذي تقول الأساطير إنّه يخفي سرّ الصّحراء، كان الحجر مسبوكًا من صلد صقيل، ناصع، غريب عن حجارة صحراء الصلد السوداء، يقف مستديرًا كقاعدة لحجر آخر، يلتحم به التحامًا ينتصب فوقه ليكوّن قمّة مثلثة الأضلاع مزبورة برموز الأبجديّة القديمة بلسان اللّغة القديمة الضائعة التي لم يعد في الصّحراء من يستطيع أن يفكّ طلسماتها منذ زمن بعيد».[1]

فقد كان لهذا الحجر دور أساسي في الرواية لأنّه ارتوى بدماء قربان بشريّ هو (يوجرتن) وغيرها من الآثار التي ألزمت الإنسان الذي يعيش معها ومن ضمنها المحافظة عليها وحمايتها من التّدنيس والتّخريب لأنها من وصايا وتراث الأجداد وذلك أنّ «روح الأسلاف هي عقل الذّاكرة المحمولة كتميمة في مسيرة الأجيال، هذا العقل يلعب دور البطولة في تحصين القيم الأخلاقيّة في رحلة

1- من انت أيّها الملاك، ص 161، 162.

الأجيال، وهذه القيم الموروثة تشكل في تراكمها مكوّنا مذهلا، ذا بعد ديني يستقيم في اسم العرف أو اسم الناموس حينا آخر».[1]

1- إبراهيم الكوني، الذاكرة الأخلاقية، مج دبي للثقافة، ع 85، السنة الثامنة،ليبيا، يونيو2012، ص 91.

المبحث الثّاني:

مظاهر ضياع الهويّة

واللاّ انتماء في فضاءات المدينة.

2-أ -علاقة هوّية البطل بانتمائه الجغرافيّ والتّاريخيّ.

2-ب- مظاهر اللاّ انتماء وضياع هويّة البطل.

2-أ علاقة هويّة البطل بانتمائه الجغرافي والتّاريخي.

إنّ القول عن مواطن من ذاك البلد المنسوب إليه ليس عبثًا وإنّما لابدّ من احتوائه على شروط ومبادئ الانتماء وذلك بالبحث في تاريخ طائفته أو عرقه أو قبيلته عن انتماء يميّزه عن البقيّة ويثبت انتماءه لذلك البلد، فكلمة انتماء هي كلمة أكبر من أن نحاول تأطيرها في تعريف واحد، فالشّعور بالانتماء يختلف تمامًا تبعًا لمعطيات حياة كلّ منّا، إذ أنّ شعورك بالانتماء كشخص يختلف عن شعور آخر ينتمي إلى طائفة أخرى.

وقد اشتدّت مؤخّرًا أزمة الانتماء في وطننا العربي على الرّغم من كافة الرّوابط الّتي تجمع بين أفراده من المحيط إلى الخليج من لغة مشتركة وتاريخ يكاد يكون مشتركًا ودين يكاد كافّة أفراد وطننا العربي يدين به مع اختلاف الطّوائف والمذاهب كلّ ذلك لم يمنع من ظهور الكثير من العقبات التي تحيلُ دون الاعتداد بانتمائنا والعمل على الحفاظ على قواسمنا المشتركة، بل يبدو أنّ هذه القواسم المشتركة باتت نقمة علينا إذ زادت من حدّة الخلاف بدلاً من أن نترك المجال لوعينا كي يذيب هذه الخلافات.[1]

وقد اتّسعت قضيّة الانتماء إلى القوميّة والانتساب الشّمالي والجنوبي لتتحدّد وتتخصّص عبر معايير ومعتقدات من عادات وتقاليد جغرافيًّا وتاريخيًّا، حيث يُعدُّ التّاريخ أحد مقوّمات الأمة، لكن لكلّ طائفة وقبيلة المنبه على ما يؤكّد وجودها ويفرض هذا

1 – رغد شام،الانتماء...وطننا ينتمي إلينا ونحن نرفض أن ننتمي إليه، من موقع www.De elijazera.net، نشر بتاريخ 05-07-2018، اطلع عليه بتاريخ: 23 مارس 2022.

الوجود ليتمّ الالتفاف إليها بعض الشّيء، ولكل منّا تلك الرّابطة والتعلّق الشديد بمكان نشوءه وتعوّده على الحياة فيه مهما صعبت الظّروف وكلّفته من أضرار، لكن لاأحد يدرك قيمة ذلك الانتماء إلاّ بعد فقدانه شخصيّته، نصّ الرّواية يؤكّد فكرة الانتماء وضرورة المحافظة عليه من خلال مسّي الذي لم يتعمّد فقدان صحرائه وموطنه الأمّ ولا ينوي خيانته ولا التخلّي عنه، بل الأمر عكس ذلك، حيث كانت نيّته أن يكون سفيرًا للصّحراء بعاداتها وتقاليدها وتراثها لكنّه لم ينجح في ذلك رغم ثقته بنفسه الّتي لم تكفِ لذلك، وما كان عليه في آخر المطاف إلاّ أن يرجع مصطحبًا خيبة أمله في عدم استكمال ما جاء لأجله من جهة ومن جهة أخرى فشله في المحافظة على بقاء الهويّة والانتماء الصّحراوي لأنّه من خلال الاسم الّذي اختاره له.

لقد حاول "مسّي" بشتّى الطرق إقناع ابنه ليهاجر معه إلى موطنه الأصلي "الصحراء" الذّي ينتمي إليه جغرافيّا وتاريخيّا وروحيًّا، فقد نشأ فيه "مسّي" وتطبّع بطباع أهله، الصّحراء بالنسبة لمسّي موطن ولطالما نعم فيه بالحريّة والانطلاق فلم تقيّده قيود وقوانين وأعراف المدينة.

« يقول "يوجرتن": لا تقل لي أنّك قررت الهجرة إلى الصّحراء ؟! وصيّة ناموسنا المفقود تقول: إثم الآثام أن تتشبّث بالمكان إذا ساء الحال بالمكان، زفر الابن باستخفاف، فأضاف الأب: في الصّحراء لن تكون في حاجة إلى اتّخاذ أسماء سريّة بل لن تكون في

حاجة إلى اتّخاذ الاسم أصلاً ! لا أحسبك تريدني أن أرافقك في هذه الرّحلة أيضا ! أنت لن ترافقني في رحلة، أنت سترافقني في هجرة!

استنكر الابن بأعلى صوت: هجرة ؟! الهجرة لا تجير من الجور وحده، ولكنّها تهب النبوّة أيضا ! يكفي أن أخلف منك نزيها،(....) سأل الابن جادًّا: ماذا يمكن لإنسان مثلي أن يفعل في مكان كالصّحراء التي تتغنّى بها كأنّها جنّات عدن ؟! »[1] .

تاريخ الصّحراء خاصّ وفقًا لما تحتفظ به الذّاكرة المجتمعيّة عن طريق التّعليم والتّربية وتناقل الرّوايات عن تاريخها وهذا التّاريخ بما يحتويه من موروث وعادات وتقاليد يختلف عن تاريخ وموروث أهل الشّمال (المدينة).

وفي الرّواية جاء هذا الاختلاف في الانتماء الشّمالي الّذي يمثل (المدينة) والانتماء الجنوبي الّذي يمثّل (الصّحراء الكبرى) من فروقات ومعايير تخصّ كل منهما وذلك من خلال البطل "مسّي" فانتماء هويته الأصليّة تتحدّد جغرافيًّا في جنوب" **ليبيا**" في أرض "**الجرمنت**" تحديدًا حيث تنتصب "رابية ملح" أخرى مطوقة بالمياه والبشر تسمّى ب "**آترنتا**" وهي الأمّة الوحيدة المشهورة بين أممهم، ورقعتهم الجغرافيّة الكبرى في المشرق العربي الّذي بدوره ينتمي إلى وحدة أكبر تسمّى البلاد العربيّة، وحوض المتوسّط فالمكاسب

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 186–187 .

الجغرافية واستمرار ثقافتها تعدُّ الفاعل الأهمّ في بناء الأمم وترسيخ هويّة للانتماء للوطن والمواطن.

«مسافة عشرة أيام أخر من أرض الجرمنت، تنتصب رابية ملح أخرى مطوّقة بالمياه والبشر، اسم هؤلاء هو "**آترنتا**" لأنّهم الأمّة الوحيدة، من بين كلّ الأمم المعروفة لدينا، لا تنتحل لأفرادها أسماءً منفردة، بل تكتفي بإطلاق اسمٍ واحد على كلّ أبنائها هو **أترنتا**».[1]

إن جغرافيّة المدينة بشوارعها ومساحتها وبنايات وما فيها من غرف وسلالم وقطع أثاث كلها واقعيّة مألوفة وهكذا كانت تبدو بالنّسبة للابن "يوجرتن"، عكس أبيه الّذي يرى جغرافيّة صحرائه الغنيّة والمهملة قبل السّلطات لعدم إدراكهم لقيمتها وثرواتها هي الموطن الذي يألفه ولا يألف غيره.

كانت صحراء "**ليبيا**" أو طوارق القبائل جغرافيًّا مسرح حياة "مسّي" اليوميّة وسيطرة عواملها المختلفة عليه جعلته يرتدي ثوب المحارب ضدّ تسلّط شمال المدينة للقضاء على التّفرقة والتّمييز، فهذه الثقافة الجغرافيّة تعدّ عقيدة في الواجب الوطني، و"مسّي" يمتلك هذه العقيدة ونجد ذلك موضّحا في محاولته نقل هذه الثّقافة لابنه "يوجرتن" ليورث عقيدته وهويته الصحراويّة: في ذلك اليوم حدّث الأب "مسّي" خليفة عهده "يوجرتن"،كيف كانت القبائل تنحر قربانًا في أزمنة المحنة، ثم تذهب لتستجير بالحجر بدهن الصّلد بشحم

1 –من أنت أيّها الملاك، ص 9.

القربان، فلا تلبث البليّة أن تنقشع، ولكنّ الأب اكتأب فجأةً وهو ينهي روايته للابن قائلاً إنّ البلاء سيعمّ، والصّحراء لن تعود صحراء، في ذلك اليوم الّذي سيقع فيه الحجر المقدّس في يد الدّخلاء. ثم التفت إلى الابن دامع العينين ليقول: هل تفهم الآن لماذا انتزعت منك الوعد لتكتم السّر؟ (...) لقد قادتني إليه أني يوم أحسّ بدنوّ الأجل، ليضعه بين يديّ أمانة أخيرة على عادة كل الآباء في الصحراء.» [1]

الانتماء للوطن هو اتّجاه إيجابي مدعم بالحبّ ويستشعره الفرد اتجاه وطنه، وهو يعتبر من الأمور الهامة، بل والضروريّة للإنسان والمجتمع، كما أنّه يسهم في تشكيل الهويّات.

تعتبر الصّحراء في شخصيّة "مسّي" وحياته، بمثابة أمّه الثانية، فقد كان يُكنُّ لها الوفاء من خلال افتخاره بانتمائه إليها وأنّه ابنها، وكذا التّمسك بمبادئها وعاداتها وتقاليدها فهو وإن ابتعد عنها لكنّه لا يلبث أن يعود إليها في كل أقواله وتصرفاته، ومن المقاطع السرديّة الّتي تجلّى فيها ذلك قوله: "لا مفرّ من العودة إلى الصّحراء إذ شئنا أن نستعيد الهويّة التي لا تحتاج إلى شهادة مدوّنة في قرطاس، ولا حتّى اسم مفترض مسبقا ليكون في العنق وسما، وربما بصمة من بصمات العار».[2]

كما كانت الصّحراء بالنّسبة له رمزًا للحريّة، وذلك من خلال الحريّة في انتزاع الاسم والعيش بكرامة وراحة دائمة وذلك في قوله: « الصّحراء يأخذ الآباء أبناءهم من

1 –من أنت أيّها الملاك، ص 162، 163.

2– المصدر نفسه ، ص 153.

أحضان أمهاتهم ليعيدوهم إلى أحضان أمهم الكبرى، أمّهم الحقيقيّة الصّحراء لتعلّمهم الحكمة».[1]

كانت الصّحراء أيضا رمزًا للحكمة لأنّها علّمته كيف يفكّر ويتدبّر شؤونه بفطنة وذكاء، كما منحته عبرا تبقى راسخة مدى الحياة في ذهنه وقلبه ومن أمثلتها ما جاء على لسان مسّي عند حديثه مع موظّف السجل:« في الصّحراء فقط لا يحتاج الإنسان إلى وثيقة إثبات الهويّة، ولا رخصة بممارسة مهنة وحتّى إلى اسم

– لا يحتاج إلى اسم ؟

– لا يحتاج إلى اسم لأنّه يستطيع أن يطلق على نفسه أي اسم يشاء من دون أن يخالف اللوائح المعمول بها».[2]

البطل "مسّي" حمل على عاتقه عبء الاسم والهويّة ورأى أنّ تحقيقهما يشكّل من خلال الانتماء إلى المكان والذّاكرة.

يبدأ "مسّي« رحلة البحث عن انتماء جديد حين يفقد كل شيء في المدينة، فلا يكون أمامه إلاّ أن يبيع البيت ليرحل إلى الصّحراء، لقد خسر معركته في فرض اسم لابنه في دائرة السّجل المدني وخسر ابنه الذي لم يكن ممتنًا لأبيه بسبب إصراره على هذا الاسم "كان عليه أن يختار الرّحيل إذا شاء أن يتجنّب التّرحيل».[3]

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 164.

2 –المصدر نفسه، ص 107.

3 – المصدر نفسه ص 209.

فالصّحراء نظرًا لامتيازاتها جعلت "مسّي" يثق بها كثيرا ويستأنس لها فلم يكن يخافها لأنّه كان متأكدًا أنّها هي نعيمه ومنقذه: «جدب الصّحراء لا يخفيني كما يخيف الكثيرين لأنّه لم يحدث في تاريخ الصّحراء أن نجت من الفناء إلا القبيلة التي استجارت بالصّحراء في حين هلكت كلّ القبائل التي استجارت بالمدن أو الواحات، أو الهجر إلى بلدان الجوار».[1] وبمقابل ذلك كانت الصّحراء تبادله نفس الشّعور من حب ورضا، فبعد عودته إليها استقبلته بصدر رحب وعاملته معاملة جيّدة «في إحدى اللّيالي خرج مسّي بيوجرتن، إلى الخلاء في نزهة كان السّكون عميقًا، إلى حد توهّم فيه الفتى أنّه يسمع صوتًا بعيدًا لطبول مجهولة، أمّا السّماء فتطهّرت من السّحاب لتضيء الأرض بمصابيح نجومها السخيّة بديلا من ضياء القمر ».[2] لأنّها فرحت بعودة ابنها المخلص لها والذي لم تنسه فيها مغريات المدينة.

ومنه نستنتج أنّ الرّواية اشتغلت عن قيمة "الاسم" بوصفه الهويّة المعبّرة عن الرّوح والجوهر والانتماء.

أمّا انتماء البطل "مسّي" تاريخيًّا إلى وطنه الصّحراء واعتزازه بهذا الانتماء يتجلّى أيضا في المقطع الآتي: «اسم هؤلاء هو "أنترنتا" لأنّهم الأمّة الوحيدة ومن بين كل الأمم المعروفة لدينا، لا تنتحل لأفرادها أسماءً منفردة، بل تكتفي بإطلاق اسمٍ واحدًا على كلّ

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 233.

2– المصدر نفسه، ص 148.

أبنائها هو "آترنتا"».[1] لقد أشار "**ابراهيم الكوني**" تحت هذه العبارة بكلمة "تاريخ" أي من مصدر التّاريخ الحقيقي لابن التّاريخ هو أحد مقوّمات الأمّة، يعني أنّ هناك وعيا لدى "مسّي" بأنّه ينتمي إلى ماضٍ ممتلئ بالوقائع والأحداث والرّموز الشخصيّة ويكفي اسمه ليُعدّ رمزًا لتاريخ صحرائه العريقة فذاكرته تحتفظ بثقافته المجتمعيّة وطريقة تعليمه وتربيته، وما من شعب من شعوب الأرض إلاّ وقد صنع تاريخه الخاصّ، والمحافظة على هذا التّاريخ يعتبر كذلك صنعًا، "فمسّي" صانع لتاريخ الصّحراء من خلال اسمه واتّباع تراثه بافتخار.

اعتمد نصّ الرّواية على المرجعية التّاريخيّة لإثبات انتماء مسّي للصّحراء وإبرازه باعتباره الأكثر أهميّة وإعداده من الأولويّات، والرّجوع إلى التّاريخ في الخطاب الروائي يعدّ خطًّا انتهجه "**إبراهيم الكوني**" في جلّ رواياته وخاصّة التّركيز على التّاريخ الصّحراوي، فقد وصف لنا أهم حضور التّاريخ في نصّ رواية "من أنت أيّها الملاك" تتجلى في تناوله تاريخ الطّوارق من ناحية تسميتهم كنموذج على التاريخ الصّحراوي فقد صرّح بأنّه يطلق عليهم اسم "أنترنتا" لأنّهم أشهر أمّة عندهم ولا يسمّون أبناءهم واحدًا واحدًا منذ الولادة بل يطلقون عليهم جميعًا اسما موحّدًا لكل أبنائها وهو "أنترنتا" « لأن نيل اسم الاستحقاق، في مقابل احتقار الاسم الموهوب على سبيل الهبة، رهين بطولة، وهو

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 09.

شرط لإضافة لصاحب الخمول عليه، لهذا السّبب كان أسلافنا القدماء لا يطلقون على الأبناء أسماءًا حتى يشبّوا لينتزعوا لأنفسهم أسماءً بأنفسهم ».[1]

كان أمام "مسّي" هدف واحد لكي يحقّق انتقامه للصّحراء بعد شعوره بخيانته لتاريخ بلاده، ولكي يطهّر نفسه، فهناك "الباي" الذي سرق "الحجر المقدّس"، وعبث بروح الصّحراء وتاريخها لذلك،« ذهب إلى مقرّ شركة التّنقيب عن النّفط، هناك اعترضه العسس فرابط على رصيف الشّارع المقابل فمكث يومًا كاملاً وهو يترصّد شبح الباي ولكن الرّجل لم يظهر »[2] غير أنّ خبر هروب الباي جعل "مسّي" يلجأ إلى السلطة/ المخفر، ليبلغها أنّ « بعض ضعاف النّفوس يستولون على روح الصّحراء الخبيئة في حجر الأسلاف، ليقوموا بتهريبه إلى ما وراء البحار »[3] فلا لا يلقى منها إلاّ التّجاهل وعدم الاكتراث به وبموروثه المقدّس لديه ولدى أتباعه،« السّلطات لم تعد ترى فيها استنزافًا لكنوز الوطن التّاريخية، بل وتحريرًا للأرض من رجس الوثن »[4] إذ يهزّ الباي بالحجر المقدّس يفكرّ "مسّي" بإعادة روح الصّحراء الضّائعة المستجيرة بشجرة الرّتم إلاّ بقربان جسيم لذلك يقدّم "مسّي" لابنه الوريث الوحيد "يوجرتن" ويغرس في رقبته نصل المديّة[5]: «

1 – من أنت أيها الملاك، ص 151.

2 – المصدر نفسه، ص 223.

3 – المصدر نفسه، ص 227.

4 –المصدر نفسه، ص 228.

5 المديّة: هي ذاكرة والد مسّي، وهي تحمل نداء الثأر: لأنّها روح الصّحراء التي تمّ تدنيسها، وما ظهور المديّة هنا محملة برمزها الدموي، إلاّ إشارة مبكرة للنهاية التي تقوم فيها بدور حاسم، قراءة في رواية "من أنت أيها الملاك"، يوسف حطيني، أديب وأكاديمي، نشر بتاريخ مارس 2020، من موقع عالم الثقافة www.worldofculture2020.com اطلع عليه يوم 8– 3– 2022.

استقرّ النصل المغسول بروح الإله الأبدي في نحر السليل فخرّ الابن أرضًا، انبثق الدّم غزيرًا من النخر ليسيل عبر الأرض الضمأى ليروي شجرة الرّتم ».[1]

إنّ التّضحية بالابن هنا برهان بإيمان "مسّي" برسالة الصّحراء الّتي توارثها عن أبيه، مثلما كانت تضحية إبراهيم بابنه برهان يقين وثقة بالله عزّوجلّ، وقصّة ذلك موجودة في الإسلام واليهوديّة، قال تعالى: « فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105)إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107)» [2] ما دليل هذا إلاّ أن المواطن "مسّي" اتّسم بالوفاء لإحياء ذكرى تاريخ الصّحراء المولع بتخليدها عبر الأجيال وكلّ هذا الشّقاء والإثباتات إن دلّت أو رمت إلى شيء إنّما ترمي إلى الانتماء التّاريخي الموثق شفهيًّا أبًا عن جدّ للوصول إلى هويّة للبطل "مسّي" بعد مغامراته هذه الّتي أدّت بحياة ابنه في سبيل وطنه "الصّحراء"، وبالتّالي فما ذكره من أحداث تثبت انتماء البطل "مسّي" للصّحراء وأهل الطوارق القبائل من النّاحية التّاريخية.

2-ب مظاهر اللاّ انتماء وضياع هويّة البطل في فضاءات المدينة:

إنّ الصّراع الطبقي والإيديولوجي لا يكاد ينتهي بين المدينة والصّحراء.

رواية "من أنت أيّها الملاك؟" تنسج خيوطًا من مظاهر ضياع هويّة البطل اللاّ انتماء في أجواء المدينة، فقد بدت فيها الشّخصيّة الرّئيسيّة معيّنة الهويّة ملامحًا واسمًا وذاكرةً، كما عمد "الآخر" إلى زيادة مساحة تشويه الهويّة وتقويضها، إمعانًا في تحقيق حالة الاغتراب، ولاسيما أنّ المكان السّردي كان عبارة عن متاهة الدّاخل إليها ضائع، والخروج

1 -من أنت أيّها الملاك، ص 242.

2 سورة الصافات، الآية 103 - 107، برواية ورش.

منها غاية تسعى إليها المدينة بالبحث المستمرّ إلى تحقيقها، هذه الحبكة السّرديّة المثيرة للتّساؤلات، فتحت لنا آفاقا لقراءة هذا النّص الرّوائي قراءة تأويليّة تُمنح مساحة في الفهم وإعادة إنتاجه.

لم تَخْلُ أعمال "**إبراهيم الكوني**" الرّوائيّة عن توظيف الغموض بوصفه ملمحًا من ملامح بطله الصّحراوي الفاعل في الواقع الّذي يعيش فيه، حتّى لو كان مغتربًا بعيدًا عن قومه وأرضه، فالرّواية تسرد قصّة ضياع البطل "مسّي" في المدينة الّذي تحوّلت حياته فيها إلى متاهة أو لغز بالنّسبة للدّاخل إليه، ويزيد حدّة ضياعه في المكان أنّه دون هويّة في بلد "الأخر" الّذي سلبها منه، رحلة تيهٍ يشعر فيها بالضّيق والاختناق والخوف ولاسيما أنّه يتعرض للرّفض والاحتيال من "الآخر" الّذي يمارس سلطته على الذّات التّائهة ،فإذا كان "الآخر"يمكنه أن يكون دليلاً ومرشدًا إلى الخلاص، ففي هذه الرّواية يتحوّل إلى فخّ يترصّد الذّات للإيقاع بها.

كان "مسّي" يشعر أنّه مختلف عن المحيط الّذي لجأ إليه، مختلف لأنّه صحراويّ طارقيّ أو قبائليّ، و"الآخر" شماليّ ابن العاصمة، ثقافة مختلفة عن نظيرتها الصّحراء، وبالنّسبة لهم هو مختلف الهويّة أو ملتبس الهويّة، ففي ظلّ مجموع هذه المفارقات ثقافة وتراثًا وذاكرةً، يجري النّفي تماما والرّفض القاطع للسّماح بالانتماء ومنح الهويّة المسلوبة، إذ لم يتنازل "مسّي' عن تراثه وثقافته الصّحراوية وينتمي بشكل تامّ إلى مواطن من أهل المدينة، ويتضح ذلك في المقطع الآتي: «الشّهادة الّتي تخالف اللّوائح المعمول بها لا

تختلف عن شهادة الزّور !، استنكر مسّي: شهادة الزّور ؟ تجاهل الرّجل سؤال المتّهم، ليعلن كأنّه يقرأ نصًّا مدوّنًا في قرطاس: والقانون في هذه الحال لا ينصّ على مصادرة الشّهادة فحسب، ولكنّه يقضي لصاحبها بالمساءلة...ألقى بالوثيقة إلى مساعده بالجوار ثمّ يطلع إلى السّقف ليقول: هذا تدبير ضروري لحماية الهويّة من أدعياء الاغتراب !...» [1]

عانى مسّي من تجاهل الآخر وإنكار شخصيّته فبمجرّد تنقله بضع كيلومترات أصبح مغتربا غريبا في وطنه، لتبدو لحظة فقدانه هويّته أمام عينيه من دون حول له ولا قوّة في التقاطها وارجاعها، ففي الوقت الّذي كان يناضل من أجل هويّة ابنه صار يناضل من أجل استرجاع هويّته فلا هو منتمٍ لهذا الفضاء الموحش ولا هو منتمٍ للآخر، وطنه الصّحراء « تناول صاحب الاستجواب وثيقة الهويّة من أمام مساعده المنهمك في تدوين أقوال المتّهم، تفحّصها بإمعان، قال من دون أن يرفع رأسه: ولكن اللّوائح لا تجيز منح مثل هذه الوثائق بمثل هذه الأسماء حتّى لو شهد لمصلحة حاملها ألف شاهد !

هل أُلام على حيازة مستند رسمي مستخرج من دائرة رسميّة فرعيّة لمجرّد أنّها دائرة فرعيّة؟ »[2] استمرّ التّحقيق في التّحقّق من هويّته وراح ليتلقى خبر حجز هويته من النسج الجديد الّذي أبلغه نبأ المصادرة يقول: « ... ليزفّ إليه نبأ صدور القرار القاضي بمصادرة

1 –من أنت أيها الملاك، ص 96.

2 –المصدر نفسه، ص 100.

وثيقة إثبات الهويّة رسميًّا، بعد أن قطعت في رحلتها بأقبية الدّوائر شوطًا طويلاً منذ جرّدتها منه اللّجنة الأمنيّة بحجّة التّحقق من صحّتها ».[1]

يمكننا أن نستجلي مظاهر الرّفض و اللاّ انتماء في النّصّ من خلال: شعور الشّخصيّة الرّئيسية بالاغتراب خاصّة عن حالة الاستلاب الّتي عاشتها هذه الشّخصيّة فهي مسيّرة في حركاتها وتنقّلاتها، كما تبدو مظاهر اللاّ انتماء في فقدان الهويّة، على مستوى الاسم والملامح والذّاكرة، إصرار الآخر على تعميق هوّة الانفصال الذّات "مسّي"، والعالم الخارجي من جهة، وبين الذّات وعالمها الدّاخلي من جهةٍ أخرى.

« خرجت في غزوة لاسترداد الاسم المغتصبْ فإذا بي أجد نفسي وقد أضعت في طريق العودة اسمي أيضًا إلى جانب الاسم المغتصب ! اغتصب ضحكة مريرة قبل أن يضيف: أنا الآن أيضًا بلا اسم ! »[2] ليس هذا وحسب بل لحقوا الضّرر بالمواطن "مسّي" حتى في لقمة عيشه فقد تمادوا إلى سلب مصدر قوت يومه، لكي يبلغ الفشل ذروته لدى "مسّي" ويقرر المغادرة إلى صحرائه « أوّل نكتة شرّيرة اعترضتني بعد هذه الهديّة، هي رفض البلديّة تجديد ترخيص الحانوت، هتف موسى بصوت عال لفت انتباه بعض أعضاء المحفل انكمش حول نفسه كمنقذ في حين مضى "مسّي": الحقّ أنّه إجراء لم استنكره، لأنّه مجرّد نتيجة منطقية إذا قورن بقرار سحب الهويّة سكت مسّي.علّق موسى بعد لحضات: ولكن ألا يبدو هذا العمل مكيدة مدبّرة للاستيلاء على القوت؟ !

1 – من أنت أيّها الملاك ص 100.

2 –المصدر نفسه، ص 104.

– الاستيلاء على القوت عدوان أهون إذا قورن بمصادرة الاسم !

– يدهشني أن أسمعك تتحدّث عن البليّة بمثل هذه الرّوح.» [1]

تهمّش الإنسان الصّحراوي من طرف أهل المدينة واعتباره دخيلاً عليهم في كل الحالات، هذا ما تعرّض له المواطن الطّارقي القبائلي "مسّي" في محاولته الانظمام إليهم، لكنّه لقي مصادرة بشتّى أنواعها كما نرى في المقطع السّابق الحانوت الّذي كان يكتسب منه قوت يومه لم يسمحوا بتجديد ترخيصه وهذا يعتبر كردّ فعل معادي للآخر المنبوذ في محاولة استنزاف كلّ قواه المعتمدة في الاستمرار بالحياة في المدينة ليرفع راية الاستسلام ويرجع إلى وطنه.

اسم شخصيّة "مسّي"، يشير إلى مكان محدّد في القبائل هو الطّوارق الصّحراء الكبرى، فضلا عن شعور الشّخصيّة بانفصالها عن المكان والشّعور بخيانتها له، فتجاهل هويته من قبل الآخر يعمل على زيادة الغموض والتّعتيم حول مصير "الأب" الذي يضحّي بنفسه لأجل ابنه، فرفض الآخر انتساب "مسّي" إلى المدينة وتدميره المتعمّد لواقعية مسقط رأسه وأصله المنبوذ هو ما أضفى عليه طابع الفضول حول المصير المجهول. ويتّضح ذلك في المقطع الآتي « "يوجرتن" إذا اشتمّت فيه القبيلة الميول البطوليّة، أو "مسّينسن" إذا دلّل على موهبة في الزّعامة، أو "انهرى" إذا بيّن عن علامات تنذر بطموح إلى الثّراء ، أو "نفرونتيتي" إذا وعد مبكرًا بممارسة الحكمة. هذا يعني أن

1 – من أنت أيّها الملاك ،ص 105.

الطّبيعة الّتي يبشّر بها الفتى هي النّعت الّذي يجب أن يدعى به، لأنّه لم ينله على سبيل الإعارة من أحد، ولكنّه صنعه بيده، ليصير له صفة ذات معنى، لا اسمًا ميتًا خاويًا من المعنى كما هو الحال في المدن».[1]

كلّ من كان حول شخصيّة البطل كان يمارس حضورا عاطفيًّا مزيفًا ودورًا سلبيًا "فمسي" لم يجد دعما ولا مساندة حتّى مّمن رافقه أكثر الرّحلة "موسى" الّذي كان إلى جانبه في أغلب رحلته في البحث عن الاسم، وفي تحدّيه لأصحاب السّجل المدني والأمر المحزن أنّه اكتشف أنّ حتّى ابنه الوحيد الّذي بنى عليه كل آماله وأحلامه حاول الاستناد عليه والتّضحية من أجله اتضح له أنّ الجمعيّة هنا حصن الذّات الّتي يحميها من شعور العزلة والرّفض، فليس من شيء أقسى على الإنسان من أن يُفرَد عن مكانه وجماعته، فهذا يعني اقتلاعًا هوويًّا.[2]

برغم وجود "مسّي" داخل وطنه فهو لم ينتقل إلى بلد آخر، فقط جاء من الجنوب إلاّ أنّه تلقّى الرّفض وعدم التّقبّل وهذا ما أشعره بالاغتراب داخل وطنه وهذا أصعب ما يتعرّض له الإنسان، فعند تحوّل المكان وتغيّره وعدم الاستقرر في المكان الجديد فإنّه بالتأكيد سيفقد هويّته وسيبدوا غريبًا ولا مألوفًا حتّى على من عاش فيه، هذا من ناحيةٍ ومن ناحيةٍ أخرى سيفقد هذا المكان ألفته فنحن نَحِنُّ إلى المكان وننجذب إليه، لما فيه من

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 152.

2 –إيمان عبد دخيل عيسى، جولان حسين جودي، ضياع الهوية بين الاغتراب والغرائبية–قراءة تأويلية في رواية الغرف الأخرى لجبرا إبراهيم جبرا، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج 9، ع3،العراق، 2019،ص145.

إمكانات مستعدّة لاحتضان الإنسان، والتّخفيف من عناء حياته ومشاقها، وتعب جسده وهموم روحه، فإذا تحوّل إلى متاهة أو كابوس، فبالتأكيد سيفقد هذه الألفة وتلك الحميميّة الّتي يمنحها المكان الواقعي المعروف.

فضلا عن ذلك فإنّ غرابة المكان تغلّفه بهالة من الغموض نتيجة الرّفض وعدم التّقبّل، التّجاهل وعدم الاعتراف بوجوده كإنسان ما يسهم في رجرجة المكان ولا استقراريّته، ومن ثمّ يولد هذا عدم استقرار الشّخصية "مسّي" سبب إخضاعه لقانون الاعتراف بالوثائق لا بذات الإنسان ووجوده، فوجوده مقرون بوجود وثائقه وهويته (بطاقة تعريفه) .

يعدّ (يوجرتن) ضحيّة من ضحايا إهمال الأب والأسرة، فقد نشأ وحيدًا منعزلاً إلى درجة أن نعت باللّقيط لعدم امتلاكه الاسم، نشأ كارها للصّحراء و موجوداتها، لأنّها كانت سببا في فقدانه الهويّة كذلك، ذلك في رأيه أنّ المدينة الّتي أصبحت جحيمًا بالنّسبة له بسبب تمسك الأب بذلك الاسم الذي منحه له أجداده وأسلافه.

فنجد الأب مسّي أضاع هو الآخر اسمه إلى جانب وريثه في محاولات فاشلة منه لاستراداده وذلك واضحٌ في المقطع السّردي الآتي:« خرجت في غزوة لاسترداد الاسم المغتصب فإذا بي أجد نفسي وقد أضعت في طريق العودة، اسمي أيضا إلى جانب الاسم المغتصب !

اغتصب ضحكة مريرة قبل أن يضيف:

– أنا الآن أيضا بلا اسم !

رمقه موسى برثاء قبل أن يتمتم:

– يصعب تصديق هذا !

– هل سبق لك وسمعت بمخلوق يُنتزع منه اسمه كما يُنتزع الثوب، بعد أن قطع في العمر شوطًا كهذا ؟

ردّد موسى:

– يصعب تصديق هذا

أنت تعرف بالطبع ماذا يعني في هذا الزّمان أن يجد الإنسان نفسه عاريًا من الاسم».[1]

لم يكن أمام مسّي إلاّ أن يقوم بصفقة مع قرينه في دائرة السّجل وتتمثّل هذه الصفقة في استرجاع هويّته وهويّة ابنه «أنت لم تسترد اسمك الضائع فحسب، ولكنّك سوف تسترجع اسم ولد أيضا!» [2] "موسى" الذّي عرّفه "بالباي" وحاول إقناعه بالعمل معه من خلال اتّخاذه كدليل ومرشد في الصّحراء لاستنزاف خيراتها واستغلال انتماء "مسّي" إلى الصّحراء في سير مجرى صفقتهم في أخذ خيراتها مقابل تقبله واحدًا منهم للتّخلّص من اللاّ انتماء الواقع فيه، وبالرّغم من أنّه احترس في البداية «خشية القصاص، بلى، بلى، لقد كبّل نفسه يوما بوعد قطعه على نفسه في حرم الصّحراء بألاّ يفعل ما بوسعه أن يُسهم في

1 – من أنت أيها الملاك، ص 104.

2 –المصدر نفسه، ص 136.

استباحة هذه الأمّ، بعد أن رأى كيف يقود أبناء الصّحراء فلولا الدّخلاء، ليستكشفوا عورتها الخبيئة، لينتهي بهم المطاف إلى مساعدة هؤلاء السفلة في أن ينتهكوا عرضها، ويزنوا به ! بلى، بلى ! هؤلاء البلهاء هم من تطوّع لقاء رغيف خبز، أو علبة سردّين، أو لفافة تبغ، ليُدْخله إلى حرم العراء جيوشَ الطامعين إلى الكنوز الذين لا تشبعهم لقيّة، ولا يروي ظمأهم إلى امتلاك شيء ليتسبّبوا في النهاية، في الخراب الّذي انتهت إليه».[1]

ولكن نظرًا للإغراءات الّتي قدمها له (الباي) و(موسى) القرين اضطرّ إلى القبول، وهو يتذّكر أنّ الوعد الذي قطعه «ليس مجرّد وعد بينه وبين رقعة أرضا، ولكنّه عهد موقّع بينه وبين ربّ السماوات والأرض، والحنث بوعدٍ كهذا ليس خيانة للوطن فحسب، ولكنّه كفر بالرّب الذي آمنَهُ على الوطن وأنعم عليه بالأرض، فإذا غفر لنفسه خطيئة تعرية الأمّ لينتهك الدخلاء دخيلتها، فهل يطمع في أن يفلت من قصاص ربّ البرّ؟»[2] فطمعه في تحرير اسم ابنه واسترداد هويّته دفعه لخيانة هذا العهد.

قام "مسّي" باقتياد الأغراب إلى الصّحراء، حيث قاموا بعمليات التنقيب عن الذهب الأسود والذي كان هدفهم الأساسي في نظر "مسّي"الذين تحايلوا عليه إذ لم يكن قدومهم لذلك السّبب بل كان هدفهم الرئيسي هو أخذ كنوز الصّحراء وآثارها التي تعود إلى ملايين السنين.

1- من أنت أيّها الملاك ،ص 136.

2 -المصدر نفسه، ص 137.

لم يكتف "مسّي" بهذا الخطأ فقط بل أضاف إليه خطأ آخر وهو إفشاء سرّ الحجر الأسود ومكانه لابنه «في ذلك اليوم حدّث الأب "مسّي" خليفة عهده "يوجرتن" كيف كانت القبائل تنحر قربّانًا في أزمنة المحنة، ثمّ تذهب لتستجير بالحجر بدهن الصّلد بشحم القربان، فلا تلبث البليّة أن تنقشع، ولكنّ الأب اكتأب فجأة وهو ينهي روايته للابن قائلاً إنّ البلاء سيعمّ، والصّحراء لن تعود صحراء، في ذلك اليوم الذي سيقع فيه الحجر المقدّس في يد الدخلاء ».[1]

وبعد أن أطلعه على السرّ الذي توارثته قبائل الصّحراء جيلاً عن جيل، حذّره أن الموت قصاص لكلّ من قاد الأغراب إليه« التفت إلى الابن دامع العينين ليقول:

هل تفهم الآن لماذا انتزعت منه الوعد لتكتم السرّ ؟ .[2]

فهذا الكلام عقد الأب مع ابنه عهدًا بحفظ السرّ لكنّه لم يكن يدري أنّه ارتكب أكبر خطأ في حقّ أمّه (الصحراء)

اغترب "يوجرتن" عن الصّحراء في صغره، فاغتربت هي الأخرى عنه في الكبر، إذ لم يكن (مسّي) « يدري أنّ الصّحراء أيضا لا تعترف بأولئك الأبناء الذي لم تكن لهم مسقط رأس، لأنّخا لا تجد ما تفعله بهم عندما يجيئونها كبارًا إلاّ أن تكسر فيهم الكبرياء، فإذا أخفقت كسرتهم بلا رحمة، إذا اخفقت لا تعلّمهم، ليقينها بأنّهم غربّاء (والغرباء في

1 – من أنت أيّها الملاك، ص 162.

2 – المصدر نفسه، ص 162.

ناموسها ملّة غير قابلة لتلقّي حكمتها لعلّة الاستعلاء)، ولكنّها تعمد إلى الاقتصاص منهم بقتلهم شرّ قتلة! »[1]

وهو الذي حاول أن يعيده إليها رغم رفضه العودة معه، ونجد ذلك بارزًا في المقطع السّردي الآتي:« أريدك أن تعلم أنّي لن أرافقك في رحلة الصّحراء »،[2] لأنّه كان يُدرك جيّدًا أنه لن يستطيع التأقلم معها، لأنّها لم تكن له يومًا وطنًا ثم أضاف بصريح العبارة في وجهه قائلاً « أن أحيا في المدينة باسم مفترض أهون عندي من أحيا في هذا العدم باسم مكتسب! ».[3]

لذلك لن تغفر الصّحراء للابن "يوجرتن" خطيئته الأولى أنّه أتاها ولم ينشأ على أراضيها، والثانية أنّه أفشى سرها للغرباء الذين يعملون على تخريب موجوداتها بأبشع الطرق، لقد حملت المدينة العداوة ل (مسّي) حيث إنّها مارست عليه شتّى العقوبات بدءا من حرمان الولد من الاسم، وكذا مصادرة هويّته التي اكتسبها من وطنه الأصلي وطرده من أراضيه وإعادته إلى الصّحراء، بعدما مارست عليه صور مختلفة من العذاب الاجتماعي والسّياسي، فقد عاش فيها معتربا منفصلا عن قيمها وأعرافها، ولم يكتف بذلك فقط بل سلبت منه زوجته وولده الذّي تنكرّ لأصله ورفض العودة معه إلى الصّحراء.

1 – من أنت أيّها الملاك، 157، 158.

2 – المصدر نفسه، ص ص 190.

3 –المصدر نفسه، ص 153 .

كما شكّلت المدينة أيضا بالنسبة له موطنًا غريبًا، لأنّه شعر فيه بالغربة واللاّ انتماء و «مشكلة اللاّ منتمي هي في أساسها مشكلة الحريّة، ولا نقصد بذلك الحرّية السياسيّة طبعًا وإنّما الحريّة بمعناها الرّوحي والعميق» [1].

ف"مسّي" لم يحقّق في المدينة حريّته فقد ظلّ يبحث فيها عن راحة البال والطمأنينة، ولكنّه لم يجدها بل وطرد من العمل أيضا« اليوم استلمت قرار الإيقاف من العمل »،[2] وهو ما زاد من شدّة كرهه ورغبته في الانفصال عنها روحيًّا وجسديّا.

1 –كولن ويلسن، اللاّمنتمي، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط5، بيروت– لبنان، 2004، ص 07.

2 –من أنت أيّها الملاك، ص 59.

خـــاتـمـــــــة

خاتمة:

في ختام بحثنا هذا الّذي أردنا من خلاله دراسة تمثّلات الذّات وإشكاليّة الهويّة في الرّواية اللّيبية "من أنت أيّها الملاك؟" **لإبراهيم الكوني** خَلُصْنَا إلى جملة من النّتائج تَوصل إليها البحث في جانبيه النّظري والتطبيقي نذكر منها:

1-إنّ هويّة أمّة تتحدّد من الخصوصيّة الثّقافية التي تميّزها عن باقي الأمم وترتبط أساسًا بوحدة المشاعر الدّاخليّة والعناصر المادّية في صورتها المتكاملة والّتي تجعل الشّخص يمتاز عن غيره، ويشعر بالانتماء الذّاتي، وفي غيابها يعيش فقدان هذا الامتياز والشّعور باللاّ انتماء لمجتمعه، والعجز الشّخصي في الوصول إلى نتائج يسعى إلى تحقيقها، وهذا الشّعور بالانتماء يخلق أزمة هوية للفرد في المجتمع الّذي ينتمي إليه، وقد كشفت الهويّة بعض العناصر الّتي تميّز أمّة عن غيرها من بينها التّاريخ، الدّين والذّاكرة.

2-ترتبط الهويّة الثّقافيّة لأيّ مجتمع بمجموعة من المقوّمات مثل: الدّين، الذّاكرة والتاريخ، وهذا ما لمسناه في نص رواية "من أنت أيهّا الملاك؟"، حيث أنّ الذّات الصّحراويّة الطّارقيّة تمظهرت في نصّ الرّواية في صورة الأنا المتمسّكة بموروثها وعاداتها وتقاليدها وتاريخها وذاكرتها الشّعبيّة.

3-أظهر نصّ الرّواية صورة "الذّات" بطل الرّواية "مسّي" المغترب في المجتمع المدني، والّذي يعيش أزمة هويّة بسبب رفض سلطة المدينة قبول "اسمه" "يوجرتن" لأنّه لا يتناسب مع الثّقافة والهويّة المدنيّة، الأمر الذي جعل البطل "مسّي" يخوض

رحلة نضال مرير من أجل الحفاظ على الاسم الّذي يمثّل بالنّسبة إليه هويّة مجتمع كامل هو المجمّع الصّحراوي الطّارقي الّذي ينتمي إليه.

4-إنّ من أهمّ أنواع الاغتراب، اغتراب الهويّة الشّخصية ويبدو هذا جليًّا في الرّواية، فالشّخصيّة المحوريّة عاشت نوعًا من القلق جرّاء اختلاق التّركيبة البشريّة والثّقافيّة للمجتمع "المدني"، وهو ما جعل الشّخصيّة المحوريّة تعيش الاغتراب الرّوحي والمكاني معًا، كما أنّها كانت تعاني انعدام التّواصل بينها وبين الآخر المدني بسبب كرهه ورفضه للذّات الصّحراويّة.

5-استطاعت الرّواية أن تمرّر رسالة إلى المجتمع العربي بأكمله من أجل تفادي العنصريّة الموجودة بين أهل المدينة وأهل الصّحراء والقبائل خاصّة، ومحاولة الحدّ من هذا الرفض وعدم التّقبّل لأنّ الطّرفان يشتركان في وطن واحد.

لقد سعينا في هذه الدّراسة إلى البحث عن تمثّلات الذّات في الرّواية موضّحين كيف أن حضور الذّات فيها يختلف من مرحلة لأخرى، تبعًا للسّياقات والظّروف الّتي تواجه "الذّات" كفرد، مجتمع، وطن وأمّة، إلى جانب السّعي وراء إثبات هويّة المواطن الصّحراوي المهمّش من قبل الآخر المدني، هذا التهميش الّذي يتعرّض له سكّان الأرياف والصّحراء في العديد من الدول العربيّة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم

1/ المصادر باللّغة العربيّة:

1- إبراهيم الكوني، من أنت أيّها الملاك، دار فارس، ط1، بيروت- لبنان، 2009.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التّراث، ط3، بيروت- لبنان، 1999.

3- محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، (د،ط)، بيروت-لبنان، 2005.

4- هاجر ميموني، رواية حتّى العصير هاجرت، دار المعرفة،(د،ط)، بومرداس- الجزائر،2007.

2/ المراجع باللّغة العربيّة:

1- حسن حنفي، الهويّة، المجلس الأعلى للثّقافة، ط1، القاهرة- مصر، 2012.

2- رياض القرشي: البنيوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في المغرب، دار حضرموت للدّراسات والنشر،ط1، اليمن، 2008.

3- صلاح السّروي، المثاقفة و سؤال الهويذة " مساهمة في نظرية الأدب المقارن"،دار كتبي، ط1،القاهرة -مصر، 2012.

4- عالية صلاح، مقاربات في الخطاب الرّوائي، دار الكنوز للمعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط 1، عمان- الأردن، 2011.

5- قحطان أحمد الطاهر، مفهوم الذّات بين النظري والتطبيق، دار وائل،ط1، الأردن، 2004.

6-كولن ويلسن، اللاّ منتمي، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط5، بيروت- لبنان، 2004.

7- محمد داوود وآخرون، الكتابة النسوية، التلقي الخطاب والتمثلات، ط ENAS، وهران - الجزائر، 2010.

8- محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر، ط 1، مصر، 1999.

9- محمد شوقي الزين، الذات والآخر (تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع)، منشورات ضفاف، ط1، الرباط- المغرب، 2012.

3/ المراجع المترجمة:

1- بيكو باريك، سياسة جديدة للهوية والمبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل، تر: حسين محمد فتحي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة-مصر، 2013 .

2- دانيال هنري باجو، الأدب العام والمقارن، تر: غسان السيد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق- سوريا، 1997.

4-الدّوريات والمجلاّت:

1- إيمان عبد دخيل عيسى، جولان حسين جودي، ضياع الهوية بين الاغتراب والغرائبية، "قراءة تأويلية" في رواية العرق الأخرى لجبرا إبراهيم جبرا، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، مج 9، ع3،العراق، 2019.

2- غسان غنيم، عنوان "من أنت أيها الملاك ؟! وقضية اندثار شعب"، مجلة جامعة دمشق، مج 29، ع 1-2، دمشق-سوريا، 2013.

3- محمد منادي ادريس، سؤال عن الهوية عند جون لوك: "من الجدال اللاهوتي إلى النقاش العلمي"، دراسات وأبحاث، كلية ظهر مهراز فاس، مجلة تباين، ع 34، المغرب، 2020.

4- مليكة جابر، التمثلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين لفرص بعد التخرج، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 18، ورقلة-الجزائر، مارس 2015.

5/الرّسائل والأطروحات الجامعية:

1- راشد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان- الجزائر، 1995/1994.

2- علي أحمد بومعزي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستر في علم الاجتماع، تخصص تنمية و تسيير الموارد البشرية، جامعة منتوري – قسنطينة – الجزائر، 2009/2010.

3- محمد لهبوب، العلاقات الاجتماعية وسيكولوجية الإندماج، المحاضرة رقم 02، علم النفس، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة ابن طفيل، المغرب.

4- مولاي أحمد بن نكاع، ملامح الهويّة في السينما الجزائرية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص الفنون الدرامية، كلية الأدب واللغات والفنون، جامعة وهران-الجزائر، 2013/2012.

6/ المواقع الإلكترونيّة:

1- أمير جمال، الهّويةّ ، من نحن وكيف يرانا الفلاسفة؟، من موقع:

https.//www.noorpost.com، نشر بتاريخ 2017/02/10 .

2- التمثلات وأهميتها في بناء المعرفة العلمية، من إعداد مجموعة ملتقى التكوين المستمر، من موقع مدرسي للأساتذة للتعليم الابتدائيwww.modrissi.com نشر بتاريخ:2021/05/7

3- جون لاشولي، تحليل نص جون لاشولي، أساس هوية الشخص طبعه وذاكرته، تر: فريق التأليف، من موقع www. 9alami.com.

4- حاتم حميد محسن، الزّمن والهويّة، مشكلة الهوية الشخصيّة، شبكة النبأ المعلوماتية، من موقع UK essays/ فلسفة، أرخ ب: 30 ديسمبر 2020.

5- رغد شام، الانتماء: وطننا ينتمي إلينا ونحن نرفض أن ننتمي إليه،

من موقع: aljazeera.netwww.De ، نشر بتاريخ:2018/7/5 .

6-عبد الرحيم العطري، ملاحظات حول الهوية والانتماء هنا والآن، من موقع دنيا الوطن،نشر بتاريخ:2007/12/6 https//pulpit-alwatanvoices.com .

7- فوزي هادي الهنداوي، سيمياء العنوان في النصوص الإبداعية، نشر بتاريخ 2016/10/26، من موقع: www.azzaman.com .

8- محمد رشد، مدخل نظري لدراسة العنوان، من موقع: www.diwanalarab.com .

9- 8 معلومات قد لا تعرفها عن طوارق ليبيا، أصوات مغاربية، نشر بتاريخ: 6 مارس 2018، من موقع : www.D.maghrebvoices.com .

10- هارون رضوان، مفهوم التمثلات الاجتماعية، 2011، من موقع علم النفس المعرفي.

الملـــــحـــق

1- التعريف بالرّوائي إبراهيم الكوني:

يعدّ الرّوائي "**إبراهيم الكوني**" وبشهادة العديد من النّقاد، من أبرز الأسماء الرّوائية في السّاحة الأدبيّة العربيّة الليبيّة، ولد "**بغدامس**" **ليبيا** عام 1948م، أنهى دراسته الابتدائيّة بغدامس، والإعداديّة بسبها، والثّانويّة **بموسكو** حصل على الليسانس ثم الماجستير في العلوم الأدبيّة والنقديّة من معهد **غوركر** للأدب العالمي **بموسكو** 1977، يجيد تسع لغات وستين كتاب حتّى الآن يقوم عمله الأدبي الرّوائي على عدد من العناصر المحدودة على عالم الصّحراء بما فيه من ندرة وامتداد وقسوة وانفتاح على جوهر الكون والوجود، وتدور معظم رواياته على جوهر العلاقة الّتي تربط الإنسان والطّبيعة الصّحراوية وموجوداتها وعالمها المحكوم بالحتميّة والقدر الذي لا يردّ.

2- المناصب التي تقلدها:

- عمل بوزارة الشّؤون الاجتماعيّة **بسبها** ثم وزارة الإعلام والثّقافة، ثم مراسلا لوكالة الأنباء الليبيّة **بموسكو** 1975، ثم مندوب جمعيّة الصّداقة اللّيبية البولندية **بوارسو** 1978.
- ترأّس تحرير مجلّة الصّداقة البولنديّة 1981.
- عيّن مستشارا بالسّفارة الليبية **بوارسو** 1978.
- عيّن مستشار إعلامياّ بالمكتب الشّعبي الّليبي (السفارة الليبية) **بموسكو** 1987.
- عيّن مستشارا إعلاميا بالمكتب الشّعبي الّليبي (السفارة الليبية)، **بسويسرا** 1982.

حصل الكوني على العديد من الجوائز العربيّة والعالميّة منها:

- جائزة الدّولة السّويسرية، على رواية "**نزيف الحجر**"1995م .

- جائزة الدّولة في ليبيا، على مجمل الأعمال 1996م.

- جائزة اللّجنة اليابانيّة للتّرجمة، على رواية "**التبر**" 1997م.

- جائزة التّضامن الفرنسيّة مع الشّعوب الأجنبيّة، على رواية "**واو الصغرى**" 2002م.

- جائزة الدّولة السّويسرية الاستثنائيّة الكبرى، على مجمل الأعمال المترجمة إلى الألمانيّة، 2005م.

- جائزة الرّواية العربيّة (المغرب)، 2005م.

- جائزة "رواية الصّحراء" (جامعة سبها ليبيا)، 2005م.

ومن بين إصداراته:

نزيف الحجر، التّبر، من أنت أيّها الملاك؟، الفم، واو الصّغرى، بر الخيتعور، عشب اللّيل، الّدمية، الدّنيا أيّام ثلاثة، يوسف بلا إخوته، جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة، الورم ... .

ملخّص مضمون الرّواية:

تمّيزت رواية "**من أنت أيّها الملاك؟**"**لإبراهيم الكوني** بصفات خاصّة تجلّت فيها براعة الرّوائي وقدرته على الإبداع، قد كانت روايته أقلّ ما يقال عنها أنّها خالدة كونها جمعت بين الملامح الطّوارقية القديمة والحياة المتحضّرة المعاصرة في قالب فنّي تطبعه روح عربيّة خالصة حافظ فيها الرّوائي على تراث أسلافه الصّحراويّين.

"مسّي" بطل الرّواية صحراوي طارقيّ الأصل انتقل من الصّحراء إلى المدينة بسبب الظّروف القاسية التي تتميّز بها الصّحراء والّتي أجبرته على مغادرتها باحثا عن ظروف ملائمة للعيش،

لكنه قطع عهدا على نفسه بأن يحمي الصّحراء من الأغراب وأن يحفظ أسرارها التي ورثها من أجداده.

"مسّي" بطل روايتنا من أبرز معاني اسمه الواردة في الرّواية "المولى" تميّز بالشّجاعة في الدّفاع عن اسم ابنه (يوجرتن) والّذي معناه "بطل الأبطال" أو "البطل الأكبر" الذي حاول أن يهديه إيّاه لكونه اسما من أسماء الأجداد.

ف"مسّي "الوالد ذهب إلى دائرة السّجل المدني لاستخراج شهادة الميلاد لابنه إذ تميّز في البداية بالتّسامح مع موظّفي دائرة السّجل نتيجة سخريتهم منه، لكنّه سرعان ما عبّر عن غضبه من ذلك الوضع بسبب ظلم أهل المدينة التي رفضت أن تعترف به بحجّة أنّ هذا الاسم غير متداول في قائمة الأسماء المنزولة، حتّى أنه نعت باللّقيط، لكن رغم ذلك كله ظلّ "مسّي" متمسّكا ومصرًا عليه لكن دون جدوى، ممّا جعل "يوجرتن" يمقت والده بسبب المعاناة التي عاشها وحرمانه من كلّ حقوقه بسبب إصرار والده على الاسم، تتوالى الأحداث وتموت الأمّ حزنا على ولدها، ففي الوقت الذي كان "يوجرتن" يحتاج إلى حنان والده انشغل والده عند تعصّب الاسم إلى أن وصل الحدّ إلى أن اغترب كلاهما عن بعضهما البعض لأنّ الابن وجد نفسه منبوذا في المجتمع المدني، رغم مجازفة الأب، وتضحيته بهويّته في طريقه لإثبات هويّة الابن، كما نجد شخصيّة (الباي) وهو أحد أعضاء السّجل المدني الّذي حاول استغلال الوضع والحالة التي كان عليها "مسّي" من خلال اقتراح العمل معه في شركة استكشاف النّفط وإبرام صفقة معه تتمثّل في استرجاع هويّته وهويّة ابنه، ففي حقيقة الأمر لم يكن هدفه التّنقيب على النّفط كما ظنّ مسّي، وإنما نهب ثروات الصّحراء واستخراج كنزها وخيراتها.

فرغم كلّ الأخطاء الّتي ارتكبها "مسّي" أضاف إليهم خطأ آخر عندما أفشى سرّ الحجر المقدّس ومكانه لابنه، فعقد معه عهد لحفظ السّر وحذّره أن الموت قصاص لكلّ من قاد

الأغراب إليه، لكن "يوجرتن" لم يكن وفيّا للعهد الّذي قطعه لوالده فأخطأ وأفشى سرّ الصّحراء للدّخلاء.

إذ نجد أنّ نهايته كانت بأن قدّم قربانا لها لتطهير الصّحراء من هذه اللّعنة، فتمّ ذبحه من قبل والده مسّي ليكفّر عن ذنبه.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
البسملة	
شكر و عرفان	
إهداء نعيمة	
إهداء هيبة	
مقدمة	أ- د
الفصل الأول : **تمثّلات الذّات ورؤى الآخر في رواية" من أنت أيّها الملاك" لإبراهيم الكوني.**	
تمهيد	8-6
المبحث الأول :التمثّلات بحث في حدود المفهوم وحضوره في الخطاب الرّوائي.	9
1- مفهوم التمثّلات:	15-10
2- حضور المفهوم "التمثّلات" في الخطاب الرّوائي:	20-15
المبحث الثاني :قراءة في عنوان الرواية وعلاقته بمسألة الهويّة والإنتماء.	21
1- الهوية مفهومها وتطوراتها.	32-26
2- علاقة العنوان بالهوية.	41-33
المبحث الثالث :أنواع وقضايا تمثّلات الذّات في الرّواية.	42
1-التّمثل الثّقافي و الاجتماعي للذّات و الآخر و علاقته بالتّاريخ و الّدين و الذّاكرة .	62-43
2- مظاهر الصّراع الاجتماعي والثّقافي بين الأنا والآخر بين حريّة الصّحراء وتسلّط المدينة.	73-62
الفصل الثاني: **إشكالية الهويّة والانتماء في رواية "من أنت أيّها الملاك**	
المبحث الأوّل: إشكاليّة الهويّة الشّخصيّة لبطل الرّواية.	75
1 الهويّة الشّخصية.	81-77
2 مشكلة الهويّة الشّخصيّة	82-81

فهرس الموضوعات

3 إشكاليّة الهويّة الشّخصية في رواية "من أنت أيّها الملاك"	88-82
المبحث الثاني: مظاهر ضياع الهويّة واللاّ انتماء في فضاءات المدينة.	89
1-علاقة هوّية البطل بانتمائه الجغرافيّ والتّاريخيّ.	99-90
2- مظاهر اللاّ انتماء وضياع هويّة البطل.	110-99
خاتمة	113-112
قائمة المصادر و المراجع	118-115
الملاحق	123-120
فهرس الموضوعات	126-125